تناصّات التفدية في شعر أبي الطيب المتنبي

م . د . عادل إسماعيل حسن محل
مركز وثائق وتراث صلاح الدين
جامعة تكريت

الكلمات المفتاحية: التناص. الفداء. الشعر.

الملخص:

كلّ شاعرٍ فذٍّ بارعٍ ينماز بمعانيهِ الدقيقة وبصورهِ الجميلة وبتفرّدهِ عن بقيّة شعراء عصرهِ وعن غيرهم من الشعراء ، ولا يتاح له ذلك ؛ إلاّ بوساطة ثقافةٍ غريزةٍ مكتسبةٍ وأخرى طبيعيّةٍ، فضلاً عن تمثّلٍ لشعر أشهر الشّعراء الذين سبقوه، وأنْ يتناصّ فكراً وروحاً مع شعراء آخرين ، وتأتي أهمية الموضوع هذا؛ بجِدَّتهِ ، أوّلاً، وببحثهِ عن تناصات التفدية بين أبي الطيب المتنبي وبين غيرهِ من شعراء بعيدينَ زماناً ومكاناً ، أو معاصرين له، ثانياً، التي كان من العسير علينا- في بعض الأحايين - تأكيد أخذ بعضها من البعض الآخر ، وقد جاءت فكرة البحث ؛ نتيجةً لما ألفيناه من تكرارٍ للفظة التفدية وما يرتبط بها من معانٍ أخرى متفرّعةً عنها ، لها تشابه واضح بين ما قاله المتنبي وما قاله غيره من الشّعراء فيها، ومن المرجّح أنْ يعود في خطوطه العريضة إلى التّشابه بين طرائق التعبير لدى الشعراء، وإلى تأثّرهم في ما سبقهم أو في ما حولهم، من ما تأثّر به المتنبي من شعر شعراء العربية الأفذاذ وتناصّ مع شعرهم، وقد اقتصر البحث على تناصاتٍ بارزةٍ ، هدفها: تركيز الإنتباه إلى توافر هذه الظاهرة في شعر المتنبي، التي تعيد له براءته من التقليد، وتصحّح فكرة السرقات ، وهي أكثر من وقع حافرٍ على حافرٍ وفق ما يفهمه النقد المعاصر ، بعد أنْ كانت نظرة النقد العربي المحافظ قد جعلت المتنبي أكبر سارقٍ، بدلاً من أنْ يكون أكبر متناصٍّ مع كلّ فكرةٍ ساميةٍ كانت قبله؛ فقد اتهمه الصاحب بن عبّاد (ت385هـ) بأنّه" إذا أنشد شعر أبي تمام ، قال: هذا نسجٌ مهلهلٌ وشعرٌ مولّدٌ ، وما أعرف شاعركم هذا ، وهو دائبٌ يسرق منه ، ويأخذ عنه ؛ ثمّ يمزج ما يسرقه في أقبح معرضٍ ۞ ولو آتي على أفراد سرقاته ؛ لطال ذلك"[1]، وزعم العميدي(ت

433هـ) أنّه تأمّل أشعاره كلّها ؛ فوجد الأبيات التي يفخر بها أصحابه " من أشعار المتقدمين منسوخة، ومعانيها من معانيهم المخترعة مسلوخة"[2]، وأوغل العميدي في ظلمه وأفحش في كذبه حتى اتّهمه بسرقاتٍ مفضوحةٍ من بديع الزمان الهمذاني(398هـ) ، الذي وُلِدَ عام(358هـ)؛ أي: بعد وفاة المتنبي بأربع سنوات![3]، واتّهمه أيضاً بالسرقة من شخصيةٍ وهميّةٍ، هو أبو الفتح الاسكندرانيّ بطل مقامات البديع[4]، وسبب هذا راجع إلى النقد العربي الذي رأى أنّ المبتدَع والمخترَع في الشعر قليل جدّاً، ومهما احترس الشعراء فإنهم سيقعون في السرقة[5] لا محالة، ورأى الجاحظ(ت255هـ) أنّ المتقدمين قالوا كلَّ شيءٍ، وعليهِ؛ فالمعاصرون لا بدّ أنْ يكونوا شركاء في معانيهم سرقةً أو استعانةً[6]، على أنّ موضوعة السرقات أُريدَ لها أنْ تكون حجر عثرةٍ في طريق الشعر الجديد المعتمد على المعاني؛ توليدها واستيفائها[7] . وفي هذا البحث ؛ بدا اهتمامنا بأبياتٍ محدّدَةٍ من شعر المتنبي وبتناصّاته مع نصوصٍ عديدةٍ أخرى ؛ نتيجةً لسموّ شاعريته ولقوّة فكره ؛ التي كان وراءهما التأثر والتأثير؛ وفق ما أشرنا إليه خلال سير العمل؛ متّبعين طريقة ترتيب الأبيات بحسب أسبقية الشعراء بالوفاة ، وليس بحسب ما عرضته المصادر والمراجع ، وركّزنا على الزمن ، وقد وقفنا على لفظة(تناص) في معاجم اللغة العربية وعلى معانيها ؛ لغةً ، واصطلاحاً ، وجرى تقسيم مادّة البحث وفق مبدأ التناص في شعر : الزيارة والفراق وسرعتهما - أوّلاً -، تلاهما : تفدية الفتيات بالإبل - ثانياً -، ومن ثمّ تفدية من تصحبه الطيور والسباع في القتال - ثالثاً -، وتفدية سيف الدّولة – رابعاً - ، وأخيراً: أنماط أخرى من التّناص التفدية .

التناص لغةً واصطلاحاً :

التناص لغةً: من تناصّ القوم ؛ أي: ازدحموا[8] ، وتناصى ، يتناصى ، تَنَاصَ ، تناصيًا ، فهو مُتناصٍ ، وتناصى القومُ: أي: أخذ بعضُهم بنواصيَ بعضٍ في الخصومة ، وهبّتِ الريحُ وتناصتِ الأغصانُ، أي: علَقت رؤوس بعضها ببعض[9] ، أمّا اصطلاحاً ؛ فهو مصطلحٌ نقديٌّ جديدٌ عرفه النقد العربي في وقتٍ متأخرٍ من القرن العشرين؛ ارتبط بالمدارس النقدية الأجنبية ، وجاء وافداً إلى النقد العربي المعاصر عن طريق التواصل الثقافي والحضاري الذي ازداد بين الثقافة العربية والثقافات الأجنبية في وقتنا الحاضر؛ غير أنّ هذه الظاهرة لها جذور عريقة في تراثنا البلاغيّ والنّقديّ القديم ، وأنّ بعضاً من المصطلحات النّقديّة العربيّة القديمة التي دلّت على السّرقة بأنواعها ، على نحو: التأثّر والتضمين والاقتباس والمعارضة والمناقضة ، تكاد تقترب إلى حدٍّ كبيرٍ من مصطلح التناص ، وعلى الرّغم من تضمّنه معنى تلك المصطلحات العربية ؛ فإنّه أكثر تطوّراً وتعقيداً ، وهو يحمل طبيعة

هذا العصر ، ويدلّ على معانٍ وأنواع أكثر تعدّداً وتنوّعاً[10]، وقد قلّل التناص من وطأة تهمة السرقة كثيراً في وقتنا الحاضر ؛ جرياً على عادة النقاد المعاصرين الذين يعدّون السرقة بأنواعها كافّة من باب التناص ؛ دون أن يفرّقوا بين نوعٍ وآخر من أنواعها التي سبقهم النقاد العرب القدماء في التفريق بينها قبل أكثر من ألفِ عامٍ ، وكتبوا عنها مجلداتٍ ومؤلّفاتٍ عدّة[11]، وقال عنها كعب بن زهير[12] :

مَـا أَرانَا نَقُولُ إِلاَّ رَجِيعاً ❁ وَمُعَـاداً مِن قَولِنـا مَكرُورا

وقال عنها عنترة[13] :

❁ هَل غادَرَ الشُعَراءُ مِن مُتَرَدَّمِ ؟ ❁

واجتنب بعض من النقاد القدامى مصطلح السرقات ، على نحو: ابن قتيبة، والقاضي الجرجاني، وأبو الفرج الأصبهاني ؛ وأخذوا بدلاً عنه بمصطلح (التوارد) أو ما شاكله ، على نحو:(الإقتباس)، وهو أنْ يضمّن الشاعر أبيات قصيدته ، شيئاً من القرآن، أو الحديث النبوي، أو الحكم والأمثال السائرة ، ودعاه الحاتمي: بـ (الاجتلاب) ، ودُرِسَ التّناص لدى عديدٍ من الشعراء ؛ وبخاصةٍ المحدثين منهم ، وهنالك العديد من الكتب التي كتبت عنه ، وأوّل من قال به هي(جوليا كريستيفا) في بحوثها التي كتبتها بين عامي1966-1967، معرّفةً إيّاه على أنّه مستوى " خلق النص = إنتاجه" ، أي: تمثّله أثناء إبداع النّصّ، وليس كمقتربٍ نقديٍّ سيميائيٍّ وآلية فحصٍ ، وبأنّه" التقاطع داخل نصٍّ لتعبيرٍ(قول) مأخوذٌ من نصوصٍ أخرى" [14]، فضلاً عن أنّه" النّقل... لتعبيرات سابقة أو متزامنة"[15] ، ومن ثمّ تبنّته بعض من الجماعات النقدية ، وانتشر بعدها في المحافل النقدية انتشاراً سريعاً ، واستعملته مدارس كثيرة (تفكيكيّة ، وبنيويّة ، وسيميولوجية ، وأسلوبيّة ، وتفسيريّة)[16]، وهو يعني: أخذ فكرةٍ من شاعرٍ آخر وإعادة صياغتها، أو استحضار معنىً من المعاني من شاعرٍ آخر، وأخذه من توظيف عرضهِ ، وإعادتهِ بصورةٍ لافتةٍ للنظر ؛ إطالةً أو اختصاراً ، فلا يعدّ ذلك سرقةً ؛ بل استرفاداً لنصٍّ سابقٍ ، وإعادة تشكيله بصيغٍ أخرى ، وإنتاجه بصورةٍ تبعده عن أصله ، والتناص في حقيقتهِ : نوعان: أولاهما: خارجيّ ناتج عن تقاطع النّص مع نصوصٍ أخرى من نتاجات مؤلّفين آخرين، والآخر: داخليٌّ ، ذاتيٌّ، ناتج عن تقاطع نصوص الشاعر نفسه في ما بينها، وقد يبدو الاختلاف شكليّاً ، ولكنّ الواقع أنّ لمعرفة جوهر التناص أهمية في التعرّف إلى السلسلة التي انحدر منها البيت ، وقد يكون له تأثير بشكلٍ أو بآخر في ما قاله الشاعر وفي ما أنتجه من أثرٍ فنّيٍّ ، وهو ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط والتقنين ؛ إذ يُعتمد في تمييزها على ثقافة الملتقّي ، وسعة معرفتهِ ، ومقدرتهِ على الترجيح[17] ، وقد صرف النقاد في

التنقيب عن التناص جهداً كبيراً تحت طائلة رصد السرقات، إمّا من منطلقاتٍ أخلاقيةٍ ؛ ليُظهروا صاحب الملكية ، ويفضحوا القراصنة، أو من منطلقٍ تهجُّميٍّ على شعراء وصلوا إلى المجد ؛ فأراد النقاد الانتقاص من قيمهم ومن مراكزهم التي بلغوها، وفق ما حدث مع المتنبي ، وغيره من فحول الشعراء ، نحو: أبي تمام ، وأبي نواس، وغيرهما من الشعراء الآخرين .

التفدية لغةً واصطلاحاً :

أجمعتْ معاجم اللغة على أنّ الجذر اللغويّ ، للتفدية ، هي من (فَدَى- يَفْدِي) ، وفَدَيْتُه فِدَىً وفِدَاءً وافْتَدَيْتُه ؛ أي: فَدَيْته بِمَالِي فِدَاءً ، وفَدَيْتُه بِنَفْسي ، ويُقَالُ: فَدَاه يَفْدِيه فِدَاءً وفِدَىً ، وفَادَاهُ يُفَادِيه مُفَادَاةً ؛ إذا أَعطى فِداءه وأَنقذه، وفَدَاه بِنَفْسِهِ وفَدَّاه إذا قَالَ لَهُ: جُعلت فَداك، وَيَقُولُونَ: فَدَيْتُه بأَبي وأُمّي ، وفَدَيْتُه بِمَالِي ؛ كأَنه اشْتَرَيْتُهُ وخَلَّصتُه بِهِ إذا لَمْ يَكُنْ أَسيراً ، ويُقَالُ: قُمْ ؛ فِدَىً لَكَ أَبي، يُرِيدُونَ بِهِ : مَعْنَى الدعاءِ، وَيُقَالُ أيضاً: فَدَاه وفَادَاه إذا أَعطى فِداءَه فأَنْقَذه ، وفَدَاه بِنَفْسِهِ وفَدَّاهُ يُفَدِّيه إذا قَالَ لَهُ: جُعِلت فَداك؛ لأَنه إنما يُفْدَى مِنَ المكارِه مَن تَلْحَقُهُ ؛ فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْفِدَاءِ: التَّعْظِيمَ والإكبار؛ لأَنّ الإنسان لَا يُفَدِّي إلا مَنْ يُعَظِّمُهُ فَيَبْذُل نَفْسَهُ لَهُ[18]، وتستعمل التفدية قصد التبجيل والتقدير، وهي أيضاً من: فَدّاه: إذا قال له: فديتك، والمفاداة : قولنا: فاداه وفدّاه , وهما بمعنىً واحدٍ ، وفدَاك: من التفدية، بالدال المهملة ، ويجوز في الفاء الكسر، فيكون مبتدأ ، ويجوز فتحها فيكون فعلا ماضياً[19]، و(فِدَى ، والْفِدَاء) إذا كُسِرَ أَوّله ؛ جاز فيه المدّ والقصر، وَإِذا فتح فَهُوَ مَقْصُور ، ولم يجزْ له إلا القصر، على نحو قَوْلِهِم: فِدَىً لَك أَبي ، وَمن الْعَرَب من يكسر(فِدَىً) بِالتَّنْوِينِ ؛ إِذا جاورَ لَام الْجَرّ بخَاصَّةٍ ، فَيَقُولُونَ: فِدَىً لَك ؛ لِأَنَّهُ نكرَة ، يُرِيدُونَ بِهِ معنى الدُّعَاء[20]، و(فداء)، مصدرٌ ممدودٌ لا يجوز قصرهُ ؛ فإذا جُعِلَ اسماً ؛ فقد حُكِيَ: (فِدَىً لك) و(فِدَاً لك) و(فِدَاءً لك)، وبالنّصبِ والكسرِ منوّنين ، ومعناه الحقيقي الأصيل ، ما كانَ يجري من المفاداة بالأُسراء[21]، وتقول: فديت الرجل تفديةً ، إذا قلت له: جُعِلْتُ فداءَك، والعرب تقول في التفدية: فدتك نفسي، وأبي وأمي، وطارفي وتالدي ، وتقول: فديت الرجل ثلاثِيَا، وفاديته: إذا فككته[22]، و(الفِدَى):(بِكَسْر الْفَاء وَفتحهَا، وبالقصر): مصدر(فدَاه) من الْأسر ، يفْدِيه: إِذا استنقذه بِمَالٍ ، ذَلِك المَال الْفِدْيَة ، وَهُوَ عوض الْأَسِير، وَأما الْفِدَاء (بِالْكَسْرِ وَالْمدّ) ؛ فمصدر(فاديته مفاداة وَفِدَاء) : أخذت فديته وأطلقته ، والمفاداة: أَن تدفع رَجُلاً وَتَأْخُذ رَجُلاً ، والفِدَى: أَن تشتريه ، وَقيل: هما وَاحِد[23]، والفداء: معناه المساواة والمعادلة بشيءٍ ، ومنها: الكبش الذي فُدِيَ به إسماعيل ﴿عليه السلام﴾ ، في قوله تعالى: ﴿ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ**﴾ { الصّافّات : 107}، وقد أجمعوا على أنّه كبش ، ولا شيء أعظم مما عظّم

الله عزّ وجلّ ومن شيءٍ فدي به نبيّ[24] ، والحكمة من فداء الذبيح بكبشٍ ؛ ليكون فِدَىً من الموت بشكل الموت ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، في قوله تعالى:﴿ **وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ**﴾ { البقرة : ٨٥ } ، وفي قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ { البقرة : 48 } ، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ**﴾ { الأنعام : 70 } ، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا** ﴾ { الأنعام : 70 } ، والعِدْلُ: الفِدْيَة ؛ أي: وإن تفدِ كلَّ فِدَاء[25] ، وفَادَى رسول الله ﴿ﷺ﴾ من رأى فداءه من أسرى بدرٍ، فمن لم يكن له فداءٌ أمره أن يعلم عشرة من المسلمين الكتابة [26]، ولا يخرج معناها الاصطلاحيّ على المعنى اللّغويّ ؛ بل يكاد يكون هو نفسه، وأنّها تعني : تفدية الأنفس والأرواح بالمال والجاه والأنعام وغيرها ، وفداء الأسارى من القتل والتّنكيل ودفع الديّة والجزية ، وما إلى ذلك من تفديات يدفعها المرء متى وقع منه إخلال يلزمه فيه فداء أو وجب عليه دم كان متعلّقا به وبماله ؛ فيدفع أمواله وكنوزه وذخائره - إذا كان مثرياً ، وله ودائع كثيرة- فتستخرج ممن كانت تحت يده ، عندما يعتقل ، أو يسأل أن يعطى مالاً ؛ فِدَاءً عن نفسه .

التناص في شعر المتنبي :

والذّي يطّلع على شعر المتنبي يكتشف بسهولة، توافر أشكال متعددة من التناص مع شعراء آخرين ، فقد تمكّن المتنبي من صهر ثقافات عديدة متباينة العصور والبيئات والمدارس الشعرية في أُتون تجربته الشعرية ، فضلاً عن تأثيره الواضح في شعر العديد من الشعراء ، وأنّ أساليب تناصاته ليست مجرّد تضمين معنى نصٍّ أو اقتباس جزء منه ؛ بل إنّه قد تجاوز هذا إلى امتصاص المصادر المتنوعة تلك ، وحاول دمجها وصهرها ؛ بحيث يبدو النص ممتلئاً بطاقاتٍ إيحائيةٍ جديدةٍ ومتنوّعةٍ ، تخدم الهدف الّذي سيق النصّ من أجلِهِ ، وهو حمل أبعاد تجربة المتنبي الخاصة ، وما يهمّنا في بحثنا المتواضع هذا ، هو التركيز على التفدية لدى المتنبي أولاً، ثمّ على المعنى المأخوذ ثانياً ، ومن أنماط تناص شعر المتنبي مع الشعراء الآخرين :

1- التّناص في شعر الزّيارة الفراق وسرعتهما :

على نحو التّناص الذي وقع في أحسن وألطف ما قيل من أبياتٍ في الزيارة والعجلة ، وفي مجيء الفراق بعد التّلاق ، وفي الشكوى مِنْ مَن خفَّفَ الزيارة ؛ ومنه: أول شعرٍ نظمه أبو الطيب المتنبي في صباه ارتجالاً ، وهو يتغزل ، في قوله[27]:

أَبي مَنْ وَدِدْتُـهُ فَافْتَرَقْنَا وَقَضَى اللهُ بَعْدَ ذَاكَ اجْتِماعا

فَافْتَرَقْنَا حَوْلاً فَلَمّا التَقَيْنَا كانَ تَسْلِيمُهُ عَليَّ وَدَاعَا

إذْ ابتدأ الشّاعر النّصّ بالتفدية في البيت الأول من قوله:(بِأَبي مَنْ وَدِدْتُهُ) بالباء مع لفظة أبي ، والفراق الأول أعقبه الاجتماع الأول ، أما في البيت الآخر: فكان الافتراق الثاني ، ومن ثمّ كان التّسليمُ وداعاً ، وعلى ما يبدو أنّ هذا المعنى المعاد قد حظي باهتمام القدماء كثيراً ، والمحدثين أكثر، وإذا تتبّعنا تطوّره لدى شعراء العصر العباسي ، بحسب تواريخ وفياتهم ؛ فإنّنا نلحظ أنّه يتناص مع قول أبي الشِّيص(ت196ه)[28]:

نَفْسِي فِداء لكَ من زائرٍ مَا حَلَّ حتَّى قِيلَ قَدْ سَارا

مَرَّ بِبابِ الدَارِ فاجْتازها يَا ليْتَــه لَوْ دَخَلَ الدَارا

ومن الملفت للنظر في هذين النّصّين هو التّركيز على أوجه التّقارب في الفكرة بين المعنى في بيت المتنبي وأبي الشّيص الخزاعي ، فالتناص قد وقع هنا بين ابتدائهما بالتفدية بالأب عند المتنبي وبالنفس عند أبي الشّيص ، وبين من ودّه المتنبي وافترقا ، ومن ثَمّ اجتمعا مرّةً أخرى ، ولم تطُلْ مدة هذا الاجتماع الثاني؛ بل كانت متصلةً بالوداع ، وكان تسليمه عليه عند الالتقاء توديعاً لفراقٍ ثانٍ[29] ، وبين زائر أبي الشّيص الذي ما إن حطّ رحاله وحلّ عنده ضيفاً ؛ حتى قيل له: إنّه سار واجتاز باب الدّار قبل أنْ يلج عتبتها ، فهما يتناصّان في اللهفة والشّوق وفي سرعة انقضاء لحظات اللقاء بالمحبوب ، والمتنبي لا شكّ هنا كان مُتتبّعاً له ومتأثّراً بهِ ، ومثلُهُ قول أبي نوّاس (ت199ه) [30]:

يَا بأبي مَن جاءني زائراً في شهرِ ذي الحِجة من

بات يُعاطِيني على خدّه خمراً بعينيه ، ومن كفّهِ

وكنتُ فيما بين ذا ، ربّما أدْنَيْتُ خلخالَيْهِ من شنفِه

ونلحظ أنّ هذا المعنى يتناص أيضاً مع قول علي بن جبلة العكوك(ت213ه)[31]:

بأبي منْ زارني مكتتِماً ❁ حذِراً من كلّ أمرٍ جَزِعَــا

زائراً نـمّ عليهِ حسنه ❁ كيف يخفى الليل بدراً طلعا

رصد الغفلة حتى أمكنت ❁ ورعى السّامر حتى هجعا

ركب الأهوال في زورته ❁ ثمّ ما سلّم حتى ودّعــا

فالتناص واضحٌ هنا أيضاً ، في تفدية الزائر بالأب من جهةٍ ، وفي التسليم عليه عند الالتقاء؛ توديعاً لفراقٍ ثانٍ من جهةٍ أخرى ، وهو يتناص مع قول الحسين بن الضحاك(ت250هـ)[32]:

بأبي زور تلفتُّ لــه ❁ فتنفّست عليه الصّعدا
بينما أضحك مسروراً به ❁ إذْ تقطّعت عليه كمدا

ونلحظ أنّ التناص واضحٌ في التفدية هنا بالأب أيضاً ، غير أنّه ناقض فكرة التسليم عند الالتقاء والتوديع لفراقٍ ثانٍ، إلى فكرةٍ أخرى مفادها المفارقة ، في أنّ الشاعر بينما هو يضحك مسروراً به ؛ تقطّع عليه كمداً ، وهو معادلٌ موضوعيٌّ للحزن المفاجئ في الحالتين (تسليم ووداع) يقابلهما(ضحك وبكاء) ، وهو يتناص أيضاً مع قول الشاعر البحتريّ(ت286هـ)[33]:

أَلَمَّتْ، وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ ؟ وَزَارَتْ خَيَالًا وَالعُيُوْنُ هَوَاجِعُ

بنفسي من تنأى ويدنو خيالها ويبذل عنها طيفها ، وتمانعُ

معنى قولهِ: " أَلَمَّتْ " - في أوّل الصّدر- و" وَزَارَتْ خَيَالًا " - في أوّل العجز- ، سواء ، ولا فرق في المعنى بينهما , وقد يتبادر إلى الذّهن ؛ أنّه أراد بالإلمام: زيارة اليقظة، فقال: " وزارت خيالاً " ؛ لكنّه لم يُرِدْ حقيقةً إلاّ زيارة المنام في الحالتين ؛ لأنه قال: " أَلَمَّتْ ، وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ؟ " ، ولو كان في اليقظة لما قال: " وَهَلْ إِلْمَامُهَا لَكَ نَافِعُ ", فإنه لا نفعَ أنفعُ من زيارة المحبوب في اليقظة، وهذا غير خافٍ لا يحتاج إلى السؤال عنه[34]، فالتّناص واضحٌ هنا في التّفدية بالنّفس في قوله في البيت الثاني:(بنفسي من تنأى ويدنو خيالها) ، وفي حدوث المفارقة بين نأي المحبوبة ودنوّ خيالها من جهةٍ ، وبين بذل طيفها عنها ، وبقائها ممانعة .

وهو يتناص أيضاً مع قول كشاجم (ت350هـ)[35]:

بِأَبِي وأمّي زائـرٌ متقنّعٌ ❁ لم يَخْفَ ضوءَ البدرِ تحت قناعِـهِ
لـمْ أَستتِمْ عناقَـهُ لقُدومه ❁ حتّى ابتدَأتُ عناقَـهُ لوَدَاعِــه

فالتناص هنا واضح بين ابتدائهما بالتفدية ، بالأب عند المتنبي ، وبالأب والأمّ لدى الشّاعر كشاجم ، وبين من ودّهُ المتنبي وافترقا ، ثم اجتمعا ، ولم تطل مدة الاجتماع الثاني ، وبين زائر كشاجم الذي ما إن استتمَّ عناقَهُ عند لقائه به ؛ حتّى ابتدَأ عناقَـهُ لِوَدَاعِهِ من جديد ، وهما يتناصّان أيضاً في اللهفة والشّوق وفي سرعة انقضاء لحظات اللقاء بالمحبوب، وانقلاب مشهد اللّقاء المرتقب إلى مشهد وداعٍ آخر سريعٍ ومباغتٍ ومفاجئٍ للشعراء ومثيرٍ

لكوامنهم ، وهو نمط لم يخرج المقتبس عن معناه ، هذا في مجال التفدية ، أمّا في مجالِ تتبعنا للمعنى المأخوذ خارج نطاق التفدية ؛ فهو يتناص مع قول الشاعر إبراهيم ابن المدبّر(ت279هـ)[36]:

بأبي من حقّق الظنّ به ... وأتانا زائرا مبتديا

كان كالغيث تراخى مدّة ... وأتى بعد قنوط مرويا

طاب يومان لنا فى قربه ... بعد شهرين لهجر مضيا

فأقرّ الله عيني وشفا ... سقما كان لجسمي مبليا

ويتناص مع قول أحد الشعراء العباسيين [37]:

بأبي من زارني في منامي ... فدنا منّي وفيه نِفارُ

ليلةً بعدَ طُلوعِ الثُّريَّا ... ولياليِ الصَّيف بُتْر قِصار

قلت هُلكي أم صلاحي فعَطْفاً ... دون هذا منك فيه الدَّمارُ

فدنا منّي وأعطَى وأرضَى ... وشفى سُقْمي ولذَّ المَزارُ

وهو يتناص مع قول أبي الحسن جحظة البرمكيّ (ت324هـ) من قبلِهِ:

زائرٌ نَمَّ عليهِ حُسْنه ... كيفَ يُخفي الليلُ بدراً طَلَعَا ؟

راقَبَ الغفلة حَتَّى أمكنتْ ... ورعا الحَارس حَتَّى هَجَعَا

ركب الأهْوالَ في زَوْرتِه ... ثُمَّ ما سَلّم حَتَّى وَدّعَا

ونلحظ هنا الرابط والعلاقة المتينة بين نصّي المتنبي وجحظة ؛ باستحضار المعنى في الزيارة، وفي الفراق الأول الذي يعقبه الاجتماع الأول ، ومن ثمّ الافتراق الثاني الذي أتى فجأةً دون سابق إنذارٍ ، وأخيراً : أصبح التّسليم وداعاً ، وهذا الجنس من مساواة الآخذ المأخوذ منه في الكلام ، وليس في بيت المتنبي هذا زيادة يفضل بها على من تناصّ معه ولا نظامٌ يزيد على نظام من سبقه ؛ ولا هو أولى بالبيتين من غيره[38] ، وهو يتناص أيضاً مع قول العباس بن الأحنف(ت192هـ)[39]:

ما أَنَخْنَا حتّى ارتحلنا فما نفْـ ـرِقُ بين المُناخِ والإرتحالِ

..(م)..

سألونا عن حالنا إذْ قَدِمنا ❁ فَقَرنّا وَدَاعَهُم بالسُّؤالِ

فالشاعر هنا في هذا النّصّ قد أكّد على أنّه ، ما إنْ أَنَاخ هو ومن معه ؛ ليمكثوا في المكان الّذي قصدوه ، وسألوهم عن حالهم لدى قدومهم ؛ حتى قرنوا سؤالهم بوداعهم ، وسرعان ما ارتحلوا ، واختلطت عليهم الأحداث واشتبكت وتداخلت ، ولم يفْرِقُوا بين المُناخِ والارتحال ، وبين السؤال والوداع ، وهو يتناص تناصّاً داخلياً مع قول الشاعر نفسه أيضاً [40]:

هُمُ كتَمُونِي سِرَّهُم حِينَ أزمعُوا ❁ وقالوا: أَتَعِدنا للرّواحِ فبكّروا

فهو في هذا النّصّ قد أفاد بأنّهم كتموه سرّهم حين أزمعوا على الرّحيل ، وسألوه الرّواح معهم، وطلبوا أنْ يعدهم بهذا ، غير أنّهم سرعان ما نقضوا العهد ، وبكروا بالرّحيل ، والتناص واضح هنا في نصّي الشّاعر نفسه في الرّحيل المفاجئ السّريع المباغت ، وهو يتناصّ أيضاً مع قول محمد بن وهيب الحميريّ(ت225هـ)[41]:

بينما هم سكن بجيرتهم ❁ ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا

وهذا البيت لدى سماعه يثير تساؤلاتٍ مفادها: ما أسرع هذا وأبغته! ، أمَا اهتدوا! ، أمَا قدّموا ركابا! ، أمَا ودّعوا صديقاً! ، وهو يتناص مع قول محمد بن أمية الكاتب (ت230هـ):

يا فراقاً أتى بعقب فراق واتفاقاً جرى بغير اتفاق

حين حطت ركابهم لتلاق زمّت العيس منهم لانطلاق

ونلحظ في هذين النّصّ التّركيز على أوجه التّقارب في الفكرة بين المعنى لدى المتنبي والشعراء الذين سبقوا أعلاه ولدى محمد بن أمية الكاتب ، فالتناص قد جاء هنا ، في الفراق الذي طال أمدهُ ، ومن ثَمّ اجتماعهم مرّةً أخرى ، وقِصَر مدة الاجتماع الثاني؛ واتصالها بالوداع ، وكان تسليم الآخر عليهم عند اللقاء توديعاً لفراقٍ ثانٍ ، وما إن حطّ الآخر رحاله وحلّ ضيفاً عندهم ؛ حتى سار ، فهم متناصّونَ في اللهفة والشّوق وفي سرعة انقضاء لحظات اللقاء بالمحبوب ، والشاعر هنا أكّدَ على التلاقي الذي جاء عقب فراقٍ ، وأعقبه فراقٌ آخر، وعلى واتفاقٍ جرى دون اتّفاقٍ مسبقٍ ، وحينما حطّت ركابهم لتلاقٍ ؛ زمّت العيس منهم لانطلاقٍ آخر.

ويتناص مع قول ابن الرومي(283هـ) :

أخرجت من جنّتي مفاجأة ❁ آمن ما كنت في حدائقها
بينما استماعي هديل هادلها ❁ إذ راع قلبي نعيق ناعقها

ويتناص مع قول الصنوبريّ(ت334هـ):

بأبي من هربت من توديعه ❁ وبعثت الدموع في تشييعه

ونلحظ أنّ التناص كان شكلاً ومضموناً ، أوّلها : في ابتدائهما بالتفدية بلفظة: (بأبي) ، والأخرى في مضمون مجمل المعنيين العامّين للبيتين، وفي فكرة اعتراض الفراق والتّوديع السّريع المفاجئ ، ومفارقة المحبوب قبل التمتّع به ، وما يرافقه من حزنٍ دّموع ولوعةٍ وحرمان ، وفي كلامهم: ما أدري ؛ إذْ ودّع ، وفي ما ذُكِرَ في قِصَرِ الزيارة ، على نحو قولهم: ما سلم حتى ودَّعَ، ويتناص مع قول الخبزأرزيّ (ت330هـ)[42]:

أستودعُ الله أحباباً حُسِدْتُ بهم بانوا فمـــا زوّدوني غير تعذيبي

❁

بانوا ولم يقض زيد منهم وطرا وما انقضت حاجة في نفس يعقوبِ

❁

ونلحظ أنّ الشاعر قد ضمّن سرعة الزيارة بقوله: أنّهم(بانوا ولم يقض زيد منهم وطرا) ، وفي هذا تناص مع قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾،{الأحزاب: ٣٧} ، أمّا قوله:(وما انقضت حاجة في نفس يعقوبِ) ، فهو يتناص مع قوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**﴾، { يوسف: ٦٨} ، وهنا تناص في الغرض الشعري(الوجداني)؛ فضلاً عن المعنى؛إذْ أنّ كلاً منهم وصف اللّقاء وسرعة الوداع في آنٍ واحدٍ.

وهو يتناص أيضاً مع قول أبي الطيّب المتنبّي:

أرى ذلكَ القُرْبَ صارَ ازْوِرارَا وَصارَ طَوِيلُ السّلامِ اختِصارَا

الّذي يتناص مع قول الأول[43]:

نأى بعد اقترابٍ منه ظبي أعار الظّبيَ مقلته وجيده

❁

فعاد دنوّه نأياً وبُعدا وأضحى موعدٌ منه وعيده

ويتناص مع قول بعض المحدثين[44]:

أقبَلَتْ ثمُ أعرَضَتْ لذَنْبٍ بأبي مَنْ دُنُوُها عادَ بعُدْا

ويتناص مع قول الشاعر:

مِتُّ شَوْقاً وكدتُ أَهْلِكُ وَجْدَاً يومَ أَبْدَى الحبيبُ هجْراً وَصَدَّا

بِأبِـي مَنْ إذا دَنَـوْتُ إليـه زَادَني القربُ منـه نأياً وبُعْدا

لاَ وَحُبِّيـــهِ لاَ وَحَقِّ هَـوَاهُ مَا تَنَاسَيْتُهُ ولاَ خُنْتُ عَهْـدا

حَاشَ لِلَّـه أَنْ أَكون خَلِيًّــاً مِنْ هَوَاهُ وقد تقطّعتُ وَجْـدَا

كَيفَ لا كيفَ عن هَوَاهُ سُلُوّي وهو شمسُ الضحى إذا ما تبدَّى

ويتناص مع قول الشاعر:

بِأبي من بَات عِنْدِي طَارِقًا من غير وعد

بَات يشكو ألم الشوق وأشكو فرط وجدي

ويتناص مع قول الشاعر محمّد بن أحمد الأصبهانيّ (ت339هـ)[45]:

بأبي من نعمت منه بيوم لم يزل للسرور فيه نموّ

يوم لهو قد التقى طرفاه فكأنّ العشيّ فيه غدوّ

ويتناص مع العديد من نصوص بعضٍ من الشعراء من المحدثين والمتأخرّين[46]، ونلحظ أنّ التناص هنا في الأبيات التي سبقت ، هو تناص معنى ، وتناص ألفاظ ، فضلاً عن وزن وقافية ؛ لدرجة أنّنا نقول: سرقةً واضحةً وجليّةً ؛ وذلك عائد إلى فعل التأثير والتأثر الذي مورس في مجال الشعر العربي القديم ، عن وعيٍ أو غير وعيٍ، وهذا من باب (الاحتذاء): الذي عرّفه القاضي الجرجاني بأنّه: موازاة شاعرٍ لشاعرٍ آخر في صورةٍ أو في معنىً ، وهذا الشكل من التّناص ، حتى إنْ حدث عند العرب القدامى ؛ فهو على سبيل التقليد أو التأثر غير الواعي ، أو الاحتذاء الإيجابي ، أو على سبيل المثاقفة .

2- **التنّاص في تفدية من تصحبه الطيور والسباع في القتال:**

هنالك أيضاً تناصّات أخرى بين المتنبي وغيرهِ من الشعراء ؛ ألا وهي: التنّاصات في تفدية من تصحبه الطيور والسباع في القتال، ومنها : قول أبي الطيّب المتنبي ، يمدح سيف الدولة، واصفاً إحدى مواقعه[47]:

يُفَدّي أَتَمُّ الطّيرِ عُمْراً سِلاحَهُ نُسُورُ الفَلا أحْداثُهَا وَالقَشاعِمُ

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقُ بِغَيْرِ مَخَالِبٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ والقَوَائِمُ

الذي يتناص مع قوله[48]:

وإنْ طَالَ أَعْمَارُ الرِّماحِ بِهُدْنَةٍ فإنَّ الَّذي يَعْمرْنَ عِنْدَكَ عَامُ

فالتناص واضح هنا بين النّصّين في قصر أعمار الرماح ؛ لأن التكسر والتحطم في الحالتين يسرع إليها ، والبيتان الأوّلان يعودان بنا إلى الشّعر العربيّ في ذِكر الطّيور الّتي ترافق الجيوش ويتناصان مع ما وردَ فيه من أبيات ، ومنهما : بيت للأفوه الأوديّ ، الّذي وصف خروج قومه إلى الحرب ، بقوله[49]:

فَتَرى الطَّيْرَ على آثارِنَا رَأيَ عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتُمارُ

ونلحظ فيه أن التناص قد وقع في وصف الطَّيرَ آكِلَةَ اللُّحوم التي تَتْبَعُ جَيْشَهُمُ الخارج إلى القَتَال ؛ لأنَّها واثقة بحَسَبِ ما اعْتَادَتْ أنَّها ستُصيبُ ميرَتَها وطعامها من لحوم القتلَى الَّذِين يقعون صرعى من الأعداء[50]، ويُعدُّ الأفوه الأوديّ أول من نطق بهذا المعنى وذَكَرَ الطير التي تتبع الجيش لتصيب من لحوم القتلى ، ووصف المُحاربَ الّذي تصحبه الطيورُ والسِّباعُ ثقةً بانتصاره ، وبالشِّبَعِ من فرائِسه ، وَأما قَوْله فِي صُحْبَة الطير لجيشه فَهُوَ كثير فِي أشعارهم ، وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى؛ وَتَدَاوَله جَمَاعَةٌ ؛ غير أنّه أوّل من سبق إليه ، في قوله هذا ، وهو من المعاني التي أخذها بعض الشعراء ، فمنهم من زاد على صاحبه، ومنهم من قصر عنه ، على أنّه قد فضل الجماعة بأمورٍ ، منها: السبق ، وهي الفضيلةُ العظمى، والآخر قوله: (رَأيَ عَيْنٍ)، فخبّر عن قُربها ؛ لأنها إذا بعُدت ؛ تُخيِّلَتْ ، ولم تُرَ، وإنما يكون قُربُها متوقعاً للفريسة، لما تصيبه من القتلى، وهذا يؤيد المعنى المقصود ويؤكّده ، ثم قال: (ثِقَةً أَنْ سَتُمارُ)، فجعلها واثقة بالميرَة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيرهُ[51]، وهو يتناص مع قول النابغة الذّبيانيّ في قصيدةٍ له يمدح بها عمرَو بنَ الحارث الأصغر من ملوك غسّانَ بالشام ، ويَصِفُ حَوْمَ الطَّيْرِ حَوْلَ العَسْكَرِ ، بقوله[52]:

إذا ما غَزَوْا بالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهمْ عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدي بِعَصائِبِ

❁

يُصاحِبْنَهُمْ حتَّى يُغِرْنَ مُغارَهُمْ مِنَ الضَّارِياتِ بِالدِّماءِ الدَّوارِبِ

❁

تَراهُنَّ خلْفَ القومِ خُزْراً عُيونُها جُلوسَ الشُّيوخِ في ثِيابِ المَرانِبِ

۞

جَوانِحَ قدْ أيْقَنَّ أنَّ قبيلَه إذا ما الْتَقى الجَمْعانِ أوَّلُ غالِبِ

۞

لَهُنَّ عليهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَها إذا عَرَّضَ الخِطِّيُّ فَوْقَ الكَواثِبِ

۞

أيْ: اعتادت الطيرُ أنّ الرماح إذا عرضت على الكواثب ؛ كان ذلك لرِزْقٍ يُساق إليها[53]، فَجَعَلَ الطَّيْرَ الَّذِي يَتْبَعُهُمْ تُوْقِنَ أَنَّ قَبْيْلَةَ غَالِبٌ[54]، وَقَدْ تَقَدَّمَهُ الأَفْوَهُ الأودِيُّ إِلَى هَذَا المَعْنَى في قوله أعلاه[55]، وَلَكِنْ مِنَ أَيْنَ لِلأَفْوَهِ ابْتِدَاءُ النَّابِغَةِ بِمَا يَنْقَادُ إِلَيْهِ القَوْلُ قَبْلَ اسْتِتْمَامِهِ[56]، فَقَدَّمَ فِي هَذَا البَيْتِ مَعْنَى مَا يُحَلِّقُ الطَّيْرُ مِنْ أَجْلِهِ ثُمَّ أَوْضَحَهُ[57] ، ولا يُعلم أحداً قال في هذا المعنى أحسنُ من ما قاله النابغة هنا في هذا النّصّ، وهو أولى بالمعنى ؛ وإن كان قد سبق إليه ؛ لأنه جاء به أحسن ، وفق ما ذُكِرَ من شريطة السرقات، غير أنّ الصورة عند المتنبي تبدو أكمل وأرحب وأعنف ممّا عند النابغة ؛ ففي حين اكتفى النابغة بجعل الطيور ترافق الجيوش ؛ جعل المتنبي العلاقة روحيّةً حين قال: (يُفَدّي أتَمُّ الطّيرِ عُمْراً سِلاحَهُ)، ثمّ أنّ بناء البيت عند المتنبي يستوقفنا في تقديمٍ وتأخيرٍ وبدلٍ ومبدلٍ منه ، ثمّ في بدلٍ تفصيليّ ، والأسلوب يجسّد هذه العلاقة ويكثّفها[58].

وفي هذا المعنى تناص مع بيتٍ لحُميد بن ثوْر في وصف ذئبٍ، بقوله [59]:

إذا ما غدا يوماً رأيت غيابة من الطير ينظُرْن الذي هو صانِع

۞

ومع قول عمرو بن مامة[60]:

إذا ألحمت قيس لحرب تباشرت ضباع الفيافي والنّسور الكواسر

وقول جَنوبُ أختُ عَمْرِو ذي الكَلْبِ ترثيه[61]:

تَمْشي النُّسورُ إليهِ وهْيَ لاهِيةٌ مَشْيَ العَذارى عَلَيْهِنَّ الجَلابيبُ

وقول أبي الطيّب المتنبّي:

تَرَكْتَ جَماجِمَه في النَّقا وما يَتَخلَّصْنَ للنَّاخِلِ

۞

فأنْبَتَّ مِنْهُمْ رَبيعَ السِّباعِ فأثْنَتْ بِإحْسانِكَ الشَّامِلِ

۞

وقول بشّار بن بُرد :

إذا ما غزا بشّرت طيره بفتح وبشّرنا بالنّعم

وقد جاء مسلم بن الوليد بعده ، ومدح يزيد بن مزيد الشّيبانيّ، فقال:

قد عَوَّد الطّير عاداتٍ وثقْن به فهنَّ يَتْبَعْنهُ في كلّ مُرْتحل

أخذ قوله: (قد عوّد الطّير عاداتٍ) من قول النابغة أعلاه :(لهنّ عليهم عادة قد عرفتها) ، وأخذ قوله: (وثقن بها) من قول الأفوه أعلاه : (ثقة أن ستمار)[62].

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا نَسْجًا وَأَسْلَمُ تَرْكِيْبًا قَوْلُ أَبي تَمَّامٍ عَلَى تَأَخّرِ زَمَانِهِ[63] ، بقوله[64]:

تَسَرْبَلَ سِرْبَالًا مِنَ الصَّبْرِ وَارْتَدَى عَلَيْهِ بِعَضْبٍ فِي الكَرِيْهَةِ فَاضِلِ

وَقَدْ ظُلِّلَتْ عُقْبَانُ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعقْبَانِ طَيْرٍ فِي السّماءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَأَنَّهَا مِنَ الجيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ

فالشاعر هنا قد نظر إلى شعر من سبقه، وأخذ منه ، وأضاف فأحْسَن ، وكرَّره في شعره ؛ وإنْ سبق لهذا المعنى ، ولكنه زاد وملّح ، وقال: إن سباع الطير قد تلغ فى الدّماء ، وأورد النّهَل في الدّماء مجازاً ، على الرّغم من أنّ النّهَل في الشّراب ، ولا يكون إلاّ من المشروب دون المطعوم[65]، وشبّه البنود بالعقبان ، وجعل الطّير آلِفةً لها ؛ لما اعتادت من أكل لحوم الاعداء وورودِ دِمائهم ، وقد أحسن في هذا المعنى، وزاد على الناس، بقوله:(إلاّ أنها لم تُقاتِلْ) ؛ فهو المتقدم بهذا ، وأحسنُ من هذه الزيادة ؛ قوله: في الدماء نواهل، وإقامتها مقام الرايات، وعليه؛ يتم حسنُ قوله:(إلاّ أنها لم تُقاتِلْ)[66]، والشاعر لم يحُم حول هذا، ولكنه زاد عليه قوله: إلا أنها لم تقاتل، وقوله: في الدماء نواهل، ثم بإقامتها مع الرايات حتى كأنها من الجيش، ومن أجل هذا حسن أن يقول: إلا أنها لم تقاتل، وهذه الزيادة أكسبت كلامه حسناً وطلاوةً ؛ وإنْ كان قد ترك بعض ما ألمّ به الأفوه الأوديّ الصاحب الأول لهذا المعنى[67]، فقال : عِقْبانُ أعْلاَمِه: أي: الأعلام التي تشبه العِقبانَ، أو الأعْلامُ التي عليها أمثلة العِقبان ، والعِقبان: جمع مفرده "العُقَاب" وهو من كواسر الطير، ذو مخالب قويَّة ، وأهمل أبو تمَّام بعض ما جاء في كلام الأفوه الأودي، وأضافَ ؛ أنّ العِقْبانَ مقيمة مع الرَّايات حتّى كأنَّها جزءٌ من الجيش، تترقَّبُ الصَّرْعَى من الأعداء لتَنْقَضَّ عليهم، فزاد الفكرة حسناً[68]، ولم يُلِمّ بشيءٍ من معنى قول الأفوه: (رأيَ عينٍ)، وقوله: (ثِقَةً أَنْ سَتُمارُ) ، ولكن زاد عليه بقوله:(إلاّ أنها لم تُقاتِلْ) ، وبقوله: (أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ) وبإقامتها مع الرايات حتى كأنّها من الجيش، وبها يتمّ حسن

الأول[69]، وزعم قوم من نقّاد الشّعر[70]: أن أبا تمّام زاد عليهم بقوله: (إلا أنها لم تقاتل) وأحسن من هذه الزيادة ، قوله: (في الدماء نواهل)، وقوله: (أقامت مع الرايات)، وبذلك يتمّ حسن قوله: (إلاّ أنها لم تقاتل) [71]، أخذه الشاعر، فأتى في المعنى زيادةً، وهي قوله:(أَنَّهَا لَمْ تُقَاتِلِ) وجاء به في بيتين اثنين ، وأخطأ أيضاَ في المعنى بقوله: (في الدماء نواهل) والنهل: هو الشرب الأول، والعلل: الشرب الثاني والعقبان لا تشرب الدماء، وإنما تأكل اللحم[72]، والصّنعة في هذين البيتين عجيبة جدّاً لا يعرفها إلا مبرز في صنعة الشعر[73] ، وقال أيضاً في موضعٍ آخر:

إذا ذمت الأعداءُ سوءَ صباحِها ❁ فليس يؤدّي شكرَها الذئب والنسر

وهذا المعنى من ما تعاورته الشعراء من المعاني ، ومنهم من زاد فيه فأحسن الأخذ، ومنهم من قصر ، وقد ذكروه قديماً وحديثاً ، وأوردوه بضروبٍ من العبارات، وأحسن في هذا أبو نواس ؛ إذْ قال يمدح العبّاس بن عبد الله بن جعفر بن المنصور[74]:

وَإِذَا مَجَّ القَنَا عَلَقاً وتَرَاءَى الموتُ في صُوَرِهُ
رَاحَ في ثنْيْ مُفَاضَتِهِ أَسَدٌ يَدْمَى شَبَا ظُفُرِهْ
تَتأيَا الطَّيرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بِالشِّبْعِ مِنْ جَزَرِهْ

وقيل لأبي نوّاس: مَا تَرَكْتَ لِلنَّابِغَةِ شَيْئًا ، فقَالَ : فَلَئِنْ كَانَ سَبَقَ إِلَيْهِمَا ؛ لَمَا أَسَاءَتِ الاتبَاع لَهُ[75] ، وقد ذكر الشعراء في هذا المعنى قديماً وحديثاً ، وتواردوا عليه ، وقد أورده بضروبٍ من العبارات غير هؤلاء ؛ إلاّ أنهم جاءوا بشيءٍ واحدٍ لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السَّبك أو من جهة الإيجاز في اللفظ، وما من واحدٍ أغرب في هذا الطريق مع اختلاف مقصده إليها ، إلا مسلم بن الوليد[76]،الأنصاريّ ، في قوله :

أشْرَبْتَ أرواحَ العِدَا وقلوبها خوفاً فأنْفسُها إليكَ تطيرُ
❁
لو حاكمتْك فطالبتكَ بذحْلها شهدتَ عليك ثعالبُ ونُسُور
❁

وكذلك فعل أبو الطيب المتنبي؛ فإنّه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريق التي سلكها من تقدّمه، إلا أنّه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه، ؛ فأغرَبَ وأبدَعَ ، وحاز الإحسان بجملتهِ ؛ وصارَ كأنّه مبتدعٌ لهذا المعنى دون غيرهِ[77] ، ثمّ أورد هذا المعنى في مواضع أخرى من شعرهِ ، غير أنّه كرّر هذا المعنى وغيّره ولطّفه ، فجاء كالمعنى المخترع[78]، في قوله

أعلاه[79]:(تفدّى أتمّ الطير عمراً سلاحه ...) ، وذكر الطير فِي مَوَاضِع أخرى ؛ فَأحْسن وَجَاء بِمَا لم يسْبق إِلَيْهِ ، على نحو قوله[80]:

وَيُطْمِعُ الطَّيْرَ فيهمْ طُولُ أكْلِهِمُ ۞ حَتَّى تَكادَ عَلى أحيْائِهِمْ تَقَعُ

ومن المستحسن في هذا المعنى قوله في وصف جيش[81]:

وَذِي لجَبٍ لاذُوا الجَناحِ أمامَهُ بِناجٍ وَلا الوَحْشُ المُثارُ بِسالِمِ

تَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهْيَ ضَعِيفَةٌ تُطالِعُهُ مِنْ بَينِ رُؤُوسٍ القَشاعِمِ

إذا ضوؤها لاقى من الطّير فرجة تدوّر فوق البيض مثل الدّراهم

أراد: في البيت الأول من هذا النّصّ: أنّ الجيش يصيد الوحش، والعقبان فوقه تسايره فتخطف الطير أمامه ، وفي البيت الثاني ، يقول: إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج ؛ لأنّ الرّماة كثيرة في الجيش، وإن ثار وحش أدركوه فأخذوه، وقول أبى العلاء: إن ذا الجناح تصيبه الرّماة أوجه ؛ لأنّ الشاعر أراد تفخيم الجيش وتعظيمه فلا يفوته طائر ولا وحشيّ ، أمّا في البيت الثالث، فقد أراد أنّ الجيش ارتفع غباره، فالشمس تصل إليه ضعيفة داخلة بين ريش الطير التي تتبعه لتصيب من لحوم القتلى[82]، وهذا من إعجاز أبي الطيب المشهور، ومن أعاجيبه المشهودة ، ولو لم يكن له من الإحسان في شعره إلاّ هذه الأبيات ؛ لاستحقّ بها فضيلة التقدم[83] ، وأورد أبو الطيب المتنبي هذا المعنى في موضع آخر من شعره ، فقال[84]:

له عسكراً خيل وطير إذا رَمى بها عسكراً لم تَبق إلا جَمَاجِمُهْ

۞

أجلتها من كل طاغ ثيابهُ ومَوْطئهاُ من كل باغ ملاغِمُهْ

۞

فقد ملَّ ضوءُ الصبح مما تُغيرُه وملَّ سوادُ الليل مما تزاحمه

۞

ومل القنا مما تَدقّ صدورَهُ وملَّ حديدُ الهند مما تلاطِمُهُ

۞

سَحابٌ مِنَ العِقبانِ يَزْحَفُ تَحْتَها سَحابٌ إذا اسْتَسْقَتْ سَقَتْها صَوارِمُهْ

وبيته هذا يتناص مع قول أبي تمّام في ما سبق[85]، ولم يسمع بأن السحابة تسقي ما فوقها إلا على طريق القلب والعكس وأراد الاستطعام فجعله استسقاء[86] ، فزاد أن جعل الطّير والجيش سحابين، وجعل السّحاب الأسفل يسقى السّحاب الأعلى، فغرّب فى هذا[87]،

وتعنّت قوم على أبي الطّيب مِمَّن هُوَ مقصر فِي معرفَة تدقيق الْمعَانِي[88]، بأمرين ، أَحدهمَا: أَنّ السَّحَاب لَا يسْقِي مَا فَوْقه ، وَالْآخر: أَنّ الطير لَا تستقي وَإِنَّمَا تستطعم ، أما إسقاء السَّحَاب مَا فَوْقه ، فَهُوَ الَّذِي أغرب بِهِ ، فَإِنَّهُ لم يَجْعَل الْجَيْش سحابا فِي الْحَقِيقَة ؛ فَيمْتَنع إسقائه لما فَوْقه وَإِنَّمَا أَقَامَهُ مقَام السَّحَاب لِأَنَّهُ طبق الأَرْض ؛ لكثرته وتزاحمه وغطاها كَمَا يُغطي السَّحَاب السَّمَاء ، وَقد فعلت الْعَرَب ذَلِك فِي أشعارها وَلما جعله يَسْتَسْقِي فيسقي مَعَ أَن الطير لَا تصيب من الْقَتْلَى مَا تصيبه وَهِي فِي الجو وَإِذا كَانَت تهبط إِلَى الأَرْض حَتَّى تقع على الْقَتْلَى فالسحاب الساقي عَال عَلَيْهَا وَأما استسقاء الطير فجار على عَادَة الْعَرَب فِي اسْتِعْمَال هَذِه اللَّفْظَة تَعْظِيمًا لقدر المَاء[89]، أمّا إسقاء السّحاب ما فوقه، وهو الذى غرّب به، فإنه لم يجعل الجيش سحابا في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه لما فوقه، وإنما أقامه مقام السّحاب؛ لأنه طبّق الأرض لكثرته وتزاحمه ، وغطّاها كما يغطّى السحاب السماء ، ولمّا سمّاه لذلك سحابا جعله يستسقى فيسقى، مع أن الطير لا تصيب من القتلى ما تصيبه وهى في الجوّ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتيل فالسّحاب الساقي عال عليها [90] ، وقد أبدع الشاعر هنا، فزاد إذْ جعلها سحابتين، وجعل السحابة السفلى تسقي ما فوقها، وهذا غريب، وقد عابهُ المتكلّفون في هذا البيت ، بأمرين: أحدُهما: أنّ السحاب لا يسقي ما فوقه ، والآخر: أنّ العقبان والطير لا تستقي، وإنما تستطعِم، فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أغرَب به، ولم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه، وإنما أقامه مقام السحاب من وجهين لتزاحمه وكثافته، وأما أنه يستسقي كاستسقاء السحاب فلأنه لما سماه سحاباً جعله يستسقي[91]، وعلى الرّغم من اعتراضات النقّاد على قوله:(سحاب من العقبان)؛ لأنّهم لم يسمعوا بأنّ السحابة تسقي ما فوقها؛ إلاّ أنّه معنىً حوى طرفي الإعجاب والإغراب ، وقد تجاذبته أفكار الشعراء[92]، وقد جعل العقبان التي تطير فوق خيله سحاباً، وجعل خيله أيضاً سحاباً؛ لما فيها من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقي الأعلى ؛ إغرابا في الصنعة ، وهذا المعنى في صحبة الطير للجيش كثير في الشعر، وبيت المتنبي يتناص مع قول أبي تمام ،الذي سبق ، وإنّ أبا تمام لم يُلِمْ بشيءٍ من معنى قول الأفوه : رأي عينٍ، ولا: ثقةً إن ستمار، لكن زاد عليه زيادة محسّنة لبعض المعنى الذي أخذه بقوله: إلاّ أنّها لم تقاتل، وبقوله: في الدماء نواهل، وبقوله: أقامت مع الرايات، مع قوله: كأنّها من الجيش، وبهذه الزيادة يتمّ حسن قوله، إلاّ أنّها لم تقاتل، لأنّه لو قيل: ظللت عقبان أعلامه ضحىً بعقبان الطير إلاّ أنّها لم تقاتل؛ لم يحسن هذا الإستثناء المنقطع ذلك الحسن ؛ لأنّ إقامتها مع الرايات حتّى كأنّها من الجيش ؛ يوهم أنّها تقاتل مثل الجيش ، فيحسن الإستدراك الذي

رفع التوهّم الناشئ عن الكلام السابق بخلاف وقوع ظلّها على الرايات[93]، وذكر أبو نصر بن نباتة الطير؛ فولّد زيادة أبدع فيها بقوله[94]:

ويوماك يوم للعفاة مذلل ۞ ويوم إلى الأعداء منك عصبصب
إذا حومت فوق الرماح نسوره ۞ أطار إليها الضرب ما تترقب

وقال[95]:

وإنك لا تنفك تحت عجاجة ۞ تقطع فيها المشرفية بالطلا
إذا يئست عقبانها من خصيلة ۞ رفعت إليها الدراعين على القنا

وَقَالَ عَمْرو بن برَّاقٍ:

وَلَوْ كَانَ سَيْفِي فِي يَمِيْنِي تَبَاشَرَتْ ۞ ضبَاعُ اللّوَى مِنْ جَمْعِهِمْ بِقَتِيْلِ

وَقَالَ أبو الطيب المُتَنَبِّيّ :

وَإِذَا لَقُوا جَيْشًا تَيَقَّنَ أَنَّهُ مِنْ بَطِنِ طَيْرٍ تنوفةٍ مَحْشُوْرُ

وَقَالَ ابْنُ أُخْتِ تَأَبَّطَ شَرًّا:

تَضْحَكُ الضَّبْعُ لِقَتْلَى هُذيْلٍ وَتَرَى الذِّئْبَ لَهَا يَسْتَهِلُّ
وَعِتَاقُ الطَّيْرِ تَهْفُو بَاطِنًا تَتَخَطَّاهُمُ فَمَا تَسْتَقِلُّ

۞

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

لَئِنْ ذَمَّتِ الأَعْدَاءُ سُوْءَ صَنِيْعِهَا فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذِّئْبُ وَالنَّسْرُ

۞

وَقَالَ أَبُو تَمَّامٍ أبضاً :

وكانَ بها مثلَ الجنُونِ فأصْبَحَتْ ۞ ومِنْ جُثَثِ القَتْلى عليها تَمائمُ

وهو على نحو قول الشاعر[96]:

فأوْفَى على جُث وللَيْلِ طُرَّةٌ ۞ على الأرض لم يكَفِفْ جوانبها الفَجْرُ

وكلّهم قصر عن النابغة؛ لأنه زاد في المعنى وأحسن التركيب ، ودلَّ على أنَّ الطير إنما أكلت أعداء الممدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضدَّ ما نواه الشاعر؛ وإن كان أبو تمام قد زاد في المعنى: على أن الطير إذا شبعت ما تسأل أي القبيلين الغالب، وإنّما المحسنُ المتخلّص المتنبي في قوله:(لهُ عسكراً خيلٍ إذا رمي بها عسكراً لم يَبق إلا جَمَاجِمُه)[97]، ويتوجه عليه؛ أنّ هذا الطير، لأيّ معنىً عافت الجماجم دون عظام السوق والأذرع والعصائص والفقرات وغيرها من الأعضاء[98].

وقال أبو عامر(ابن شهيد الأندلسي) :

وتدري سباع الطير أن كماته ❁ إذا لقيت صيد الكماة سباع

وقال أبو تمام:

تطير جياعاً فوقه فيردها ❁ ظباه إلى الأوكار وهي شباع

وقد أخذ هذا المعنى مروان بن أبي الجنوب فقال: يمدح المعتصم[99]:

لا تَشبع الطّيرُ إلاّ في وقَائعه فأينما سَارَ سارت خلفه زُمرَا

❁

عوارفاً أنه في كُلّ مُعتركٍ لا يُغمد السَّيفَ حتّى يُكثِرَ الجَزَرا

❁

فأخذه بكر بن النطاح، فقال[100]:

وتَرى السباعَ معَ الجوَا رحِ فوق عَسْكرنا جَوانحْ

❁

ثقةً بأنَّا لا نَزا لُ نُمِير ساغَبِها الذبائح

..(م)..

فأخذه ابن جهور، فقال:

ترى جوارح طير الجو فوقهم ❁ بين الأسنة والرايات تختنق

فأخذه آخر فقال:

ولست ترى الطير الحوائم وقعاً ❁ من الأرض إلا حيث كانت وقائعه

ومنه قول الكميت بن معروف:

وقد سترت أسنته المواضي ❁ حدي الجو والخم السغاب

ومنه قول ابن قيس الرقيات:

والطير إن سارت فوق موكبه عوارفاً أنه يسطو فيقربها

فأخذه عباس بن الخياط، فقال:

يا مطعم الطير لحوم العدى ❁ فكلها تثني على بأسه

ومنه قول حميد بن ثور الهلالي في وصف ذئب:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

❁

إذا ما غدا يوماً رأيت غيايةً من الطير ينظرن الذي هو صانع

وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة:

إذا حومت فوق الرماح نسوره ❁ أطار إليها الضرب ما تتقرب

وقال:

إذا رفعت فوق الجموع عقابه ❁ تباشر عقبانٌ بها ونسور

حواجل أو ربدج الظهور قشاعمٌ ❁ قوانصها للدارعين قبور

وقال:

إذا يئست عقبانها من حصيلةٍ ❁ رفعت إليها الدارعين على القنا

وقال ابن اللبانة:

تهوى قناك الطير فهي وراءها ❁ تهوي لتبصر حين يطعن تطعم

وأبدع من هذا قول المتنبي:

يطمع الطير فيهم طول أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقع

وينتهي بنا القول إلى ههنا في ذكر النوع الذي نحن بصدد ذكره ، في من صاحبته الطيور والسباع ، ولكنَّ الذي خلّص هذا المعنى كلّه، وزاد فيه، وأحس التركيب ، هما بيتا النابغة والمتنبي ، وهو من اتحاد الطريق واختلاف المقصود، بأنْ يسلك الشاعران طريقاً واحدةً ؛ فتخرج بهما إلى موردين، وهناك يتبيّن فضل أحدهما على الآخر، وأنْ يؤخذ بعض المعنى ويضاف إليه زيادة تحسنه[101] ، على إنّ من الأنواع التي ليس الأخذ فيها ظاهراً مقبولة كلّها ؛ بل منها ما يدق فيه الصنع ويخفى فيه مكان الأخذ حتى يخرج بحسن التصرف وجودة السبك من حين الأخذ والاتباع، إلى أن يكون أشبه بالاختراع والابتداع[102]، فإذا لم يعلم، قيل: قال فلان كذا، وسبقه إليه فلان، فقال كذا[103]، وهذه الأنواع المذكورة ونحوها أكثرها مقبولة، ومنها: ما هو فوق ذلك من حيث يخرجه حسن التصرّف من قبيل الأخذ والاتباع، إلى حيّز الاختراع والابتداع ، وكلما كان الإتّباع أشد خفاء كان أقرب إلى القبول ؛ بحيث لا يعرف أنّ الثاني مأخوذ من الأوّل إلاّ بعد إعمال روية ومزيد تفكّر كان أقرب إلى القبول لكونه أبعد عن الأخذ والسرقة وأدخل في الإبتداع والتصرّف[104] ، هذا كلّه إذا عُلم أن الثاني أخذ من الأول، وهذا لا يُعلَم إلا بأن يعلم أنه كان يحفظ قول الأول حين نظم قوله ، أو بأنْ يخبر هو عن نفسه أنّه أخذه منه ؛ لجواز أن يكون الاتفاق من قبيل توارد الخواطر، أي: مجيئه على سبيل الاتفاق من غير قصدٍ إلى الأخذ والسرقة، كما يُحكى عن ابن ميادة أنّه أنشد لنفسه :

مفيد ومِتْلاف إذا ما أتيتَهُ تهلّل واهتز اهتزاز المهند

فقيل له: أين يذهب بك ؟ هذا للحطيئة! ، فقال: "الآن علمت أني شاعر؛ إذ وافقتُه على قوله ولم أسمعه"، وعليهِ ؛ لا ينبغي لأحد بَتّ الحكم على شاعر بالسرقة ما لم يعلم الحال، وإلاّ ؛ فالذي ينبغي أنْ يقال: قال فلان كذا، وقد سبقه إليه فلان فقال كذا؛ فيغتنم به فضيلة الصدق، ويسلم من دعوى العلم بالغيب ونسبة النقص إلى الغير[105] ، وهذا كلّه من (الالْتقاطُ والإضافة): وهو أنْ يأخُذَ المستفيدُ بعض المعنى الذي سبَقَ إليه غَيْرُه ويُضيف إليه زيادة حَسَنة[106]، ولو تتبعنا جميع ما نظمه الشعراء في هذا الباب، لأتى على أكثر البحث ، غير أنّنا نكتفي بما أوردناه ، وخير الكلام أقلّه .

3- **التناص في تفدية الفتيات بالإبل** :

وردَ التناص بين شعر أبي الطيب المتنبي وبعضٍ من الشعراء الآخرين في تفدية الفتيات بالإبل ، في أبيات متعدّدة ، ومنها – على سبيل المثال لا الحصر- : قول أبي الطيّب في أبيات له قالها في مستهلّ مقصورةٍ ، أوّلها [107] :

ألاَ كُلُّ مَاشِـيَةِ الخَيْزَلَى فَدا كلِّ مَاشِـــيَةِ الهَيْدَبى

وكلِّ نَجَــاةٍ بُجَـاوِيَّـةٍ خَنُوفٍ ومَا بِيَ حُسْنُ المِشَى

إذ نلحظ أنّ البيت يتناص مع قول الأعشى:

أجَدَّتْ بِرِجْلَيْها نجاءً وَراجَعَتْ ❁ يَداهَا خِنَافاً لَيّناً غيرَ أحْرَدَا

ويتناص أيضاً مع قول امرئ القيس:

على كُلِّ مَقْصُوصِ الذُّنابَى مُعَاوِدٍ ❁ بَرِيدَ السُّرَى في اللَّيلِ من خَيْلِ بَرْبَرْا

إذا رُعْتَهُ من جانِبَيْـهِ كِلَيْهِـمَا ❁ مَشْـي الهَيْدبَـى في دَفِّـهِ ثم فَرْفَرا

ويتناص أيضاً مع قول الفرزدق :

قُطُوفُ الخُطا تمشى الضُّحى مُرْجَحِنَّةً ❁ وتمشِى العشاءَ الخَيزَلى رِخْوَةَ اليَدِ

ويتناص مع قول الشاعر[108]:

من الماشيات الخيزلى، وتهادياً ❁ إذا العشة، العضلاء، خف ثقيلها

ويتناص مع قول أبي تمّام[109]:

يَرَى بالكَعابِ الرُّوْدِ طَلْعَةَ ثائِرٍ ❁ وبالعِرْمِسِ الوَجْناءِ غُرَّةَ آيِبِ

فالتناص الخفيّ قد وقع في معنى البيت ، وإنْ اختلفت ألفاظه ؛ لأنّ لفظة(العرمس)، تعني: النّاقة الصلبة ، ولفظة(الوجناء) تعني: النّاقة الشّديدة ، وهو يتناص

مع الخيزلى والهيدبى، وبيت المتنبي يتناص مع النصوص الثلاثة التي سبقت ، وإنّ السابق في هذا المضمار ؛ هو امرئ القيس-بلا شكّ- ، وغيره قد تناصّ معه في بعضٍ من الألفاظ الغريبة على نحو: (الخَيزَلى) و(الهيدبى)، ونلحظ أنّه قد أخرج هذا النص وما يشاكله من نصوصٍ أخرى؛ إخراجًا لغويًّا حشد فيها الألفاظ الغريبة حشدًا، عبّر فيها تعبيراً لغويّاً غريباً ؛ لينال إعجاب اللُّغويين من أصحاب الغريب ، بحسب ما هو معروف عنه في الرغبة من إظهار علمه وفضله[110]، وعلّل الصاحب بن عبّاد هذه الحال ؛ بأنّه كان يقصد إلى التبدّي في لفظه: وأنّ من أهم ما كان يتعاطاه" التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ؛ حتى كأنه وليد خباء وغذيُّ لبن لم يَطَأ الْحَضَر، ولم يعرف الْمَدَر"[111] .

وفي قول أبي الطيّب المتنبي[112]:

بالواخدات وحاديها وبي قمرٌ يظل من وخدها في الخدر حشيانا

نلحظ تناصّاً مع قول ذِي الرمة[113]:

كأنّا على حُقْبٍ خِفافٍ، إذا ❁ خَذَتْ سَوادِيهِما بالواخ داتِ الرَّواحِلِ

وهو يتناص مع قَولَ الشماخ :

تُلاعِبُنِي إذَا مَا شِْتُ خَوْدٌ ❁ عَلى الأنْماطِ ذَاتُ حَشىً قَطيع

وَيتناص مع قَول الآخر:

فَنْهَنْتُ أولى القومْ عني بِضَرْبَةٍ ❁ تَنَفَّسَ مِنها كُلُّ حَشْيانَ مُحْجِرِ

وفي قول أبي الطيّب المتنبي:

حاوَلنَ تَفدِيَتي وَخِفنَ مُراقِباً فَوَضَعنَ أَيدِيَهُنَّ فَوقَ تَرائِبا

تناص مع قَول بَعضهم ينظر إِلَى هَذَا الْمَعْنى[114]:

أضْحَى يجانِبُنِي مجَانَبَةَ العِدَا وَيَبِيت وَهْوَ إِلَى الصَّباحِ نَدِيمُ

❁

وَيُمرُّ بِي خَوْفَ الوُشاةِ وَلَفْظُهُ شَتْمٌ وَحَشْوُ لِحاظِـهِ تَسْلِيمُ

❁

نلحظ في النّصّ الأوّل أنّ أبا الطيب المتنبي قد أكّد على أنّهُنّ طلبْنَ أنْ يقُلْنَ له: نفديك بأنفسِنا، أو أنفسنا تفديك، أو جعلنا الله فداك ، وخِفْنَ الرقيب ، فنقلنَ التفدية من القول إلى الإشارة إليّه من بعيد ؛ بوضع أيديهن على ترائبهن(صدورهن)؛ إشارةً إلى ذلك ؛ ، ولم يجهرن بالسلام والتحية ؛ خوف العيون والوشاة والرقباء ؛ لأنّ من أراد أن يفدّي غيره وضع يده على صدره[115]، ونلحظ في النّصّ الثاني أنّ الشاعر قد ذكرَ محبوبه الذي مرّ بهِ ؛

خوف الوشاة أيضاً ؛ وكان فحوى لفظه شتماً ، ومضمون لحاظهُ تسليمٌ ، فالتناص قد وقع في خوف الشاعرين من الوشاة ومن الرّقباء وفي التسليم الخفيّ بالرّمز ، وهو يتناص مع قول الآخر:

فما برحتْ تومي إليه بطرفها تحذره خوف الوشاةِ وتومضُ

فقوله: " وتومض" مكرر ؛ لأنّ الإيماض هو الإيماض بعينه[116] ، ويتناص وقول البهاء زهير المِصْرِيّ[117]:

أَفْدِي حَبِيْبًا لِسَانِي لَيْسَ يَذْكُرُهُ ❁ خَوْفَ الوُشَاةِ وَقَلْبِي لَيْسَ يَنْسَاهُ

وقوله بعده :

سمّيتُ غيرك مجنوني مغالطة ❁ لمعشرٍ فيك قد فاهوا بما فاهوا

وبعده :

وكم ذكرتُ مُسمىً لا اكتراث به ❁ حتى تجُرّي إلى ذكراكِ ذكراهُ

وقوله أيضاً:

فأقول : بعض النّاس عنك كنايةً ❁ خوف الوشاة وأنتَ كلّ النّاسِ

ويتناص مع قول الزمخشري:

أصبو إلى الشّرقِ؛ إنْ كانت منازلها ❁ في جنب الغرب خوف القيل والقالِ

أقولُ: في الخدّ خالٌ حين أذكرُها ❁ خوف الوشاة وما في الخدّ من خالِ

وهذت من باب السرقة المحمودة التي قال عنها ابن رشيق:((من أخذ معنىً بلفظه كما هو كان سارقاً، فإن غيَّر بعض اللفظ كان سالخاً ، فإن غيّر بعض المعنى ؛ ليخفيهِ أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقهِ))[118] وإذا التفتنا صوب ما ذهب إليه تراثنا النّقدي بشأن التّناص؛ نجد مستويات عدة له ؛ إذْ للشاعر أن يُضَمّن قول شاعرٍ آخر او يحسّنه أو يفيد منه أو يبني عليهِ أو يُغيرُ عليهِ إذا ما جاء كلاً دونما تغييرٍ او تطويرٍ ؛ وهو أقبح ما يقع عليهِ الحافر على الحافر ، فقد وجدوا العذر لبعض الشعراء ؛ عندما يرون أنّ ما أخذه الشّاعر انتظم له سياقٌ في بنيتِهِ الشّعرية ؛ شأنه شأن من سبقه من الشعراء الأفذاذ[119] ، وقد أُعجِبَ جماعةٌ بالمتنبي، وراحوا يعذرونه على تواردِ خواطِرِهِ مع غيرِهِ ، ولم يتبادر إلى أذهانِهم المؤاخذة عليه ؛ لأن((المعاني يستدعي بعضها بعضاً)) [120].

4- التّناص في تفدية سيف الدّولة :

للتّناص في تفدية سيف الدّولة الحمدانيّ شواهد بارزة وواضحة ، ومنها : ما جاء من تناصٍ بين قول أبي الطيّب المتنبي، في فداء المحبوب [121]:

لَوْ قُلْتَ للدّنِفِ الحَزِينِ فَدَيْتُهُ ❁ مِمّا بِهِ لأغَرْتَهُ بِفِدائِه

لدى إجازتهِ قصيدة شيخ سيف الدولة (أبي ذرّ سهل بن محمد الكاتب)[122] في قوله [123]:

نفسي الفداء لمن عصيت عواذلي ❁ في حبّه لم أخش من رقبائه

واسترساله على الوزن والحرف الّرويّ نفسيهما ؛ وهما من باب الإجازة والتنّاص معاً في موضوعة التّفدية ، ومنه: ، أيضاً ؛ أنّ سيف الدولة قد ذكر بيتاً أحبّ إجازته ، وهو قوله :

خرجتُ غداةَ النَّفْرِ، أَعْتَرِضُ الدُّمَى ❁ فلمْ أَرَ أحلى منكَ في العينِ والقلبِ

فقال أبو الطيّب المتنبي ، مفتدياً إيّاه في الوقت نفسه[124]:

فدَيناكَ أهدى النّاسِ سَهماً إلى قَلبي❁ وَأقتَلَهُم للدّارِعِينَ بِلا حَربِ

وفي قول أبي الطيب المتنبي[125]:

فُدِيتَ بمَاذا يُسَرُّ الرّسولُ ❁ وَأنتَ الصّحيحُ بذا لا العَليلُ

تناص مع قول مُسلم بن الْوَلِيد[126]:

نالَتْكَ يَا خَيْرَ الخَلائِقِ عِلَّةٌ ❁ يَفْدِيكَ مِنْ مَكْرُوهِها الثَّقَلانِ[127]

فَبِكُلّ قَلْبٍ مِنْ شَكاتِكَ عِلَّةٌ ❁ مَوْصُوفَةُ الشَّكْوَى بِكُلّ لِسانِ

إذْ أنّ التناص قد وقع هنا بين بيتهما ، في التفدية من العِلّة ، وهو يتناص أيضاً مع أبيات أخرى قيلت في تفدية المريض ، منها : قول الشاعر:

فديناك لو نعطى المنى فيك والهوى ❁ لكان بنا الشكوى وكان لك الأجر

وقول البحتري:

بأنفسنا لا بالطوارف والتلد ❁ نقيك الذي تخفى من السقم أو تبدي

بنا معشر العافين ما بك من أذى ❁ فإن أشفقوا ممّا أقول فبي وحدي

وقول آخر:

يا ليت علّته بي غير أنّ له ❁ أجر العليل وإني غير مأجور

وقول ديك الجن:

يا ليت حمّاه بي كانت مضاعفة ❁ يوما بشهر وأن الله عافاه

فيصبح السقم منقولا إلى جسدي ❁ ويجعل الله منه البرء عقباه

وفي قول أبي الطيب المتنبي[128]:

إذا اعتل سيف الدولة اعتلت الأَرْض ❁ ومن فوقها والبأس والكرم

تناص مع قَول أبي تمّام :

وَإِنْ يَجِدْ عِلَّةً نُغَمْ بِها ❁ حَتَّى تَرَانا نُعادُ فِي مَرَضهْ

ومع فوله :

إنَّا جَهِلْنا فخِلْناكَ اعْتَلَلْتَ وَلا ۞ وَاللهِ مَا اعْتَلَّ إِلَّا المُلْكُ والأدَبُ

ومع فوله أَيْضاً :

لَا تَعْتَلِلْ إنَما بالمَكْرُمات إذَا ۞ أنْتَ اعْتَلَلْتَ تُرَى الأوْجاعُ والعِلَلُ

وَمع قول عليّ بن الجهم:

وَإذَا رَابَكُمْ مِنَ الدهْرِ رَيْبٌ ۞ عَم مَا خَصَّكُمْ جَمِيعَ الأنامِ

ومع قول أبى هفان:

قالُوا اعْتَلَلْتَ فَقُلْتُ كَلاَ ۞ إنَّمَا اعْتَلَّ العِبادُ

والدِّينُ والدُّنْيا لِعِلَّتِهِ ۞ وأظْلَمَتِ الْبِلادُ

وهو يتناص أيضاً مع قول أبي الطيب المتنبي[129] :

۞ وكيف انتفاعي بالرقاد ۞

ومع قولهِ [130]:

۞ شفاك الذي يشفي ۞

ومع قوله[131]:

يا ليْتَ بي ضَرَبَةً أُتيحَ لَها كما أُتيحتْ لَهُ مُحمَّدُها

أثَّرَ فيها وفي الحديد وَمَا أثّرَ في وَجْهِهِ مُهَنَّدُها

فاغتبطت إذْ رأتْ تَزَيّنَها بِمثْلِهِ والجِراحُ تَحْسُدُها

وهذا كلام عجيب ومعنى غريب ، وذلك ؛ أنه تمنى ضربة تقع منه مثل ضربة الممدوح ، وليس هذا من ما يُتمنى حدوثه مطلقاً ، ومن المرجّح أنّه أراد بهذا مذهب من إذا رأى مكروهاً بإنسان، قال: يا ليت لي ذلك دونك ؛ وفق ما قال الشاعر:

أنا مُذْ خَبرت بالعلّ ..(م).. لــةِ واللّــه عَليل

لَيْتَ حَماك بِجِسمي ۞ ولك العُمر الطويل

ومثله قول آخر:

لا بِكَ السقْم ولكِنْ كَانَ بي وبِنَفْسي وبأمي وأبي

قِيلَ لي إنّكَ صَدعْتَ فَمَا خَالَطتْ عَيناي حَتّى دِير بي

وهو مستعمل كثيراً في الشعر[132].

وفي قول أبي الطيب المتنبي[133]:

فدى نفسه بضمان النضارِ ۞ وأعطى صدور القنا الذابلِ

تناص مع قول الفرزدق[134]:

كان الفداء له صدور رماحنا ۞ والخيل إذ رهج الغبار مثار

وقد وقع التناص هنا بين بيتي المتنبي والفرزدق في التفدية بصدور القنا والرّماح[135]، باللّفظ والمعنى ، والفرزدق سابقٌ لهُ في هذا المعنى . وهو يتناص مع قول الراعي النّميريّ :

وأزهر سخيّ نفسه عن تِلاده ۞ حنايا حديد مغفل وسوارقه

أزهر: رجل أبيض، أسرناه: فسخت نفسه عن تلادة، وحنايا : ما عطف من حديد عليه وأوثق به، وسوارقه: يعني الأقفال وأراد أنه فدى نفسه [136].

وفي قول أبي الطيّب المتنبي في تفدية الرّبع بالنّفس[137]:

فديناك من ربعٍ وإن زدتنا كربا ۞ فإنك كنت الشرق للشمس والغربا

وكيف عرفنا رسم من لم تدع لنا ۞ فؤادا لعرفـــان الرسـوم ولا لبا

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً ۞ لمن بان عنــه أن نلم به ركبا

وفي هذا تناص مع قوله[138]:

۞ بالنّاسِ كُلِّهِم أفديكِ مِنْ حكَمِ ۞

ومع قوله[139]:

۞ نَفْديكَ مِنْ سَيْلٍ إذا سُئِلَ النّدَى ۞

ومع قوله[140]:

۞ يَفدِيكَ مِنْ رَجُلٍ صَحْبِيْ وَأَفدِيكَا ۞

وقد مرّ يقول للربع: فديناك من الأسواء ؛ وإن زدتنا وجداً وهيجته لنا ، بأنْ ذكّرتنا عهد الأحبة ، وحين كنت مثوىً للحبيب منك كان يخرج ، وإليك كان يعود ، وكنّى بالشمس عن المرأة[141] ، وفي هذا تناص مع غيره من الشعراء ، إذْ أنّ " وأول من بكى بالربع ، ووقف واستوقف: الملك الضّلّيل ، حيث يقول:

۞ قفا نبك على ذكرى حبيب ومنزل ۞

ثم جاء أبو الطيب، فنزل وترجّل، ومشى في آثار الديار، وقال:

❁ نزلنا على الأكوار ❁❁ {البيت وما قبله } ، ثم جاء أبو العلاء المعري فلم يقنع بهذه الكرامة، حتى خشع ومجد حيث يقول[142]:

تحية كسرى في السناء وتبع ❁ لربعك لا أرضى تحية أربع

وهذه البيت من محاسن الابتداء أيضاً" [143] ، ولا ننسى مطلع المتنبي ، فإن كرامته فيه للربع أعظم من كرامة أبي العلاء ؛ لأنّ أبا الطيب فداه بنفسه ؛ إذْ قال[144]: (فديناك من ربع وإن زدتنا كربا) ، ولا شكّ أنّ التفدية أعظم من الخشوع والسجود في التحية[145] ، وهو من المطالع الحسنة ؛ في ما لو سِلِمَ من لفظ " الكرب " [146]، عجز البيت من قول المتنبي المعظم لآثار الحبيب هذا يشبه[147] قول ابن المعتز:

ترى حيث ما حلّتْ من البيتِ مشرقاً ❁ وما لم يكن فيه من البيت مَغْربا

وفي قول أبي الطيب المتنبي في التّفدية[148]:

بأبي الشُّموسُ الجانِحاتُ غَوارِبَا ❁ اللاّبِساتُ مِنَ الحَريرِ جَلابِبَا

تناص مع قول قيس بن الخطيم:

تَراءتْ لنا كالشَّمس تحت غمامةٍ ❁ بَدا حاجبٌ منها وضَنَّتْ بحاجبِ

وهنالك تشابه واضحٍ في المعنى ، بينهما .

وفي قول أبي الطيب المتنبي[149]:

يفدّونهُ حتّى كأنَّ دماءهُمْ لجاري هَواهُ في عُروقهم تقفو

وقوفين في وقفين: شكرٍ ونائلٍ ❁ فنائلهُ وقفٌ، وشكرهُمُ وقفُ ❁

ليس في التفدية البيت الأول دلالةٌ ، على أنّ دماءهم ؛ كأنها تقفو هواه في عروقهم ، وليس العروق من مساكنة الهوى ؛ بل من مساكنة القلوب ؛ ولكنّه سمع قول أبي العتاهية:

فتنفست ثُمّ قلتُ نعم حسبّاً جرى في العروق عِرقاً فعرقا

فأخذه منه[150] ، أمّا في البيت الآخر ، فقد ارتبطت لفظة(وقوفين) بقوله: (يفدونه) ، وهو يتناص أيضاً مع قول تمّام:

فتىً عِرضُهُ وقفٌ على كلّ طالبٍ ❁ وأموالُهُ وقفٌ على كُلّ مُجتدِ

وقد قدَّم الشكر على التأويل في صدر بيتهِ هذا ، ولو قال في عجزه:(فشكرهم وقف ونائله وقف) ، كان أجود للصنعة ؛ إلا أنْ يذهب إلى أنّ الشكرَ يتقدمه النائل[151] ، وقد قال البحتري في ما يقرب من هذا:

أعيالٌ لهُم بنو الأرضِ أمْ ما ❁ لهُمُ راتبٌ على النَّاس وقفُ .

وفي قول أبو الطيّب المتنبي يفتدي سيف الدولة[152]:

فَدَتْكَ نُفُوسُ الحاسِدينَ فإنّها ❁ مُعَذَّبَةٌ في حَضْرَةٍ ومَغِيبِ

يقول: نفوس حسادك معذبة بحسد معاليك ، حضروا أم غابوا ، فجعلهم الله فداك ، ووقاك بهم صروف الزمان ؛ ليستريحوا من هذا العذاب الذي ينالهم، وفي هذا تناص[153] مع قوله:

ألا أيها المكنيُّ باسم محمدٍ فدتْك نفوسُ اللاحظيك الملاحظا

ومع قوله[154]:

❁ فإن لهم في سرعة الموت راحةً ❁

وفي قول ابي الطيب المتنبي:

تُطِيعُ الحَاسِدينَ وأنْتَ امْرُؤٌ ❁ جُعِلْتُ فِدَاءَهُ وهُمُ فِدَائِي

ذهب ابن وكيع إلى أنّ للبيت صلة ما، بقول الحصني:

فدتك نفسي وتفديني أعاديكا ❁ بلْ كان من فوق ظهر الأرضِ تَفْديكا

وبقول الوائلي أيضاً :

فداك أبو عمرو على أن ودّه ❁ لو أنّ الورى طُرّاً فدا أبي عمرو[155]

وفي قول أبي الطيّب المتنبي[156]:

وما طلبت زرق الأسنة غيره ❁ ولكن قسطنطين كان له الفدا

تناص مع قول أبو فراس:

وآب بقسطنطين وهو مكبل ❁ تحف بطاريق به وزرازر

وهو ما يؤكّد توافر تناصٍ في هذا المعنى .

وفي قول أبي الطيّب المتنبي، يمدح عبيدالله بن خراسان الطرابلسيّ، ويفتديه[157]:

يَفْدي بَنيكَ عُبَيْدَ الله حَاسِدُهم ❁ بجَبْهَةِ العَيرِ يُفدى حافرُ الفَرَسِ

تناص مع قول أبي جعفر الإسكافيّ:

نفسي فِداءكَ وهي غير عزيزةٍ ❁ في جنب شخصك وهو جِدُّ عزيز

فلقد يقي الحُرَّ البهيَّ أذاتَهُ ❁ في وقتها كفّ من الشونيزِ

وتناص مع قول أبي النصر العُتُبيّ:

اللهُ يشهدُ والملائكُ ، أنّني: ❁ لجليل ما أوليت غير كَفورِ
نفسي فداؤك لا لِقدْري بل أرى ❁ أنَّ الشّعير وقايةُ الكافورِ

فالأبيات الثلاثة بيتها تناص واضح[158].

وفي قول أبي الطيّب المتنبي[159]:

فَعِشْ لو فَدَى المملوكُ رَبَّاً بنفسه ❁ من الموتِ لم تُفْقَدْ وفي الأرض مسلمُ

نلحظ التفدية الضمنية ، وقال ابن وكيع : " لا أدري لِمْ قال: (تفقد وفي الأرض مسلم) ، ولو كان: (لم تفقد وفي الأرض بشر) كان أمدح، وإذا كان المسلمون لا يكبرون عن فديته فليس ينبغي أن يصان المخالفون عن ذلك، فتخصيصه أهل الإسلام بالفدية لا وجه له ، والجيد قول ابن دريد:

نَفْسي الفداء لأميريَّ ومَنْ ❁ تحت السماء لأميريَّ الفَدَا

وقد أوقفنا أبو الطيب في هذا الاختيار، بقولهِ[160]:

فدىً لك مَنْ يقصِّرُ عن فداكا ❁ فلا مَلْكٌ إذاً إلاَّ فَدَاكا

" فَعَمَّ ، ولم يُخَصِّصْ "[161].

وقال أبو الطيب المتنبي بعده :

وَلَوْ قُلْنا فِـدًى لكَ مَن يُساوي ❁ دعونا بالبقاء لمن قلاكـا

وقد تناول هذا المعنى أبو إسحاق الصابي الكاتب، فقال:

أيُهذا الوَزير لا زَال يَفِديكَ ❁ منَ النَّاسِ كلُّ مَن هو دونكْ
وإذا كانَ ذَاك أوَجب قولي ❁ أنْ يكونواْ بأسْرِهِمْ يَفدُونَك

فوقع دون أبي الطيب[162] .

وفي قول أبي الطيّب المتنبي بعده:

وآمنّـا فـداءك كلّ نفسٍ ❁ وإن كانت لمملكةٍ ملاكـا
وَمَن يظنُ نَثر الحبِّ جُوداً ❁ وَينصبُ تحتَ ما نثر الشباكا

تناص مع قول ابن الرومي:

رأيتك تعطي المال إعطاء واهبٍ ❁ إذا المرء أعطى المال إعطاء مشتري

وفي قول أبي الطيب المتنبي ، يمدح كافور :

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَآكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابنِ أخي نَسْلِيْ وَنَفسي وَمالِيَا

تناص مع قول صفيّة بنت عبد المطّلب:

فدىً لرسول الله أمّي وخالتي وعمّي وزوجي ثمّ نفسي وماليا

وهو يتناص– أيضاً - مع قول الأمام علي ﴿ كرّم الله وجهه ﴾:

فدىً لرسول الله أمّي وخالتي وعمّي وزوجي ثمّ نفسي

فالملاحظ أن البيتين من البحر نفسه ، والقافية، والروي، نفسهما وفي الموضوع نفسه ، وهو من أكمل وجوه التناص الذي عرفته العرب في أيام عزّها .

وفي قول أبي الطيب المتنبي ، لبدر بن عمار - أيضاً - ، يمدحه :

فاغفِرْ فدىً لك وأحْبُني من بَعْدِها لِتَخُصّني بعطّيـةٍ مِنْها أنا

يتناص مع قول الشاعر عبدالله بن الزبعرى ، مخاطباً المرسول محمد﴿ﷺ﴾ حينما أسلم[163]:

فاغفِرْ فدىً لك والديّ كلاهما زللي فإنّكَ راحمٌ مرحومُ

وإنّ هذه النصوص تقع في صلب التناص، وإنّها التناص بعينه ؛ لأنّ الشاعر ما إنْ تلسع أذناه بأبيات غريمه ، حتى يفرغ عليها ما ينكث غزلها ويحول معناها إلى الاتجاه المعاكس، على جرسها ومنوالها ؛ لتكون الردّ الفاصل منه على غريمه ، من دون لبسٍ أو شكٍّ ، وهذا من أرقى ما وصل إليه التناص في تطبيقاته .

5- أنماط أخرى من تناص التفدية :

وقفنا أيضاً خلال سير مادة البحث على أنماط أخرى من تناص التفدية ، منها – على سبيل المثال ، لا الحصر- : قول أبي الطيب المتنبي يمدح أَبَا أَيُّوب أَحْمد بن عمرَان بن ماهويه ، ويفديّه ، بتفدية الموت بالموت[164]:

ولَكَ الزّمانُ مِنَ الزّمانِ وِقايَةٌ ولَكَ الحِمامُ مِنَ الحِمامِ فِداءُ

ونلحظ أنّ هذا البيت يتناص مع قول أبي تمام[165]:

وأنا الفداءُ إذا الرماح تشاجرَت لك والرماحُ من الرماح لكَ الفِدا

وهو يشبه بيت أبي الطيّب في التأليف ؛ وإنْ اختلفت ألفاظه[166] .

وفي قول أبي الطيب المتنبي: أيضاً:

أَلَا ما لِسَيفِ الدَولَةِ اليَومَ عاتِبا! ۞ فَداهُ الوَرى أَمضى السُيوفِ مَضارِبا

تناص داخليّ مع قوله:

فَدَتْكَ مُلُوكٌ لم تُسَمَّ مَوَاضِياً فإنّكَ ماضِي الشّفْرَتَينِ صَقيلُ

ويروى: (فدتكَ سيوفٌ) بدلاً من (فَدَتْكَ مُلُوكٌ) ، أي: أمراء، لم تُسم باسمك لكلالهم ومضائِك وعجزِهم وغنائِك، وفيه تناص مع قول الحكم بن أبي الصلت :

فدتك ملوك الأرض أبعدها مدى ۞ وأرفعها قدرا وأقدمها مجدا

ويتناص أيضاً مع قوله :

لو تحرَّفتَ عن طريقِ الأعادي ربطَ السِّدرُ خيلّهم والنَّخيلُ

ودرى مَن أعزَّه الدَّفعُ عنه فيهما أنَّه الحقيرُ الذَّليلُ

يعني: صاحبي العراق ومصر، فإن النخيل من شجر العراق والسِّدر من شجر مصر[167]، ويتناص أيضاً مع قول مزرد بن ضرار بن صيفي الذبياني ، أخو الشماخ ، والنّصّ من المفضليات[168]:

سلافُ حديدٍ ما يزالُ حسامهُ ذليقاً وقدتهُ القرونُ الأوائلُ

إذا ما عدا العادي بهِ نحو قرنهِ ۞ وقد سامهُ قولاً فدتكَ المناصلُ

وأملسُ هنديٌّ متى يعلُ حدهُ ۞ ذرى البيضِ لا تسلم عليهِ الكواهلُ

ألستَ نقياً لا تليقُ بكَ الذرى ۞ ولا أنتَ إن طالت بكَ الكفُّ ناكلُ

حسامٌ خفيُّ الجرسِ عندَ استلالهِ ۞ صفيحتهُ مما تنقي الصياقلُ

وفي قول أبي الطيب المتنبي:

فِدىً لكَ مَنْ يُقَصِّرُ عَنْ مَدَاكَا ۞ فَلاَ مَلِكٌ إذَنْ إلاَّ فَدَاكَـا

وَلَوْ قُلْنا فِـدًى لكَ مَن يُساوي ۞ دعونا بالبقاء لمن قلاكا

تناص مع قول أبي الصقر:

يَفْدِيه مَنْ فيه عن مِقْدار فِدْيَتِه ۞ عن المفاداة تَقْصِيرٌ ونُقْصَانُ

ويتناص مع قول ابن الرومي :

يفديه من لا يفي بفديته ❁ يوماً إذا ناب أزمة أزما

وفيه تناص داخليّ أيضاً مع قوله:

يُفَدّي أتَمُّ الطّيرِ عُمْراً سِلاحَهُ ❁ نُسُورُ الفَلا أحداثُها وَالقَشاعِمُ

وفي قول أبي الطيب المتنبي:

فِدى مَنْ على الغَبراءِ أوّلُهُمْ أنَا ❁ لهذا الأبيّ المَاجِدِ الجائِدِ القَرْمِ

تناص مع قول ابن الرّومي:

عظيم وفى النعمى عظيما وماجد فدى ❁ ماجدا لا زال يفديه ماجد

وفي قول أبي الطيب المتنبي :

بِأَبي وَأُمّي ناطِقٌ في لَفظِهِ ❁ ثَمَنُ تُباعُ بِهِ القُلوبُ وَتُشتَرى

تناص مع قول ابن الرّومي:

بل النفس تفدى النفوس وتشترى ❁ فتبذل منها المنفسات التلائد

وتناص مع قول ابن الرّومي أيضاً :

وما كأخ لو خيرت عرضة فدية ❁ ولا ولدا يشربه بالأجر والد

ومع قول أبي الطيب المتنبي :

أنا اليَوم مِنْ غِلمانِهِ في عَشِيرَةٍ ❁ لَنا وَالِدٌ مِنهُ يُفدّيه وُلدُهُ

وقد أكّدَ ابن طباطبا ذلك في باب أطلق عليه:[المعاني المشتركة(السرقات)] ، قائلاً:((وإذا تناول الشاعر المعاني التي قد سبق إليها ، فأبرزها في أحسن من الكسوة التي عليها ؛ لم يُعَبْ بَل وجب له فضل لطفهِ وإحسانهِ فيهِ))[(169)] ، وكان للمتنبي في النصوص التي سبقت فضل الإجادة والإحسان ، وهذا ما كنّا نحاول إثباته والبحث عنه في صفحات بحثنا هذا .

الخاتمة:

بما أنّه لا بُدّ لكلّ بدايةٍ من نهايةٍ ، ففي نهاية بحثنا هذا ، نأمل أن نكون قد أوفينا الموضوعة حقّها ، وبلغنا الإجادة ، وحقّقنا الإفادة ، في تتبّع تطور المعنى الواحد ، وتبيان مدى التأثر والتأثير الواقع بين شعر أبي الطيب المتنبي وغيره من الشعراء ، وهذا ما بحثنا عنه ، وتتبّعنا سيره في التناصّات التي لحظناها بين الأبيات التي وقفنا عليها وذكرناها في ما سيق من نصوص وأمثلةٍ ، في اللفظ والمعنى ، والتي تناولناها بعيداً عن مصطلح السرقات ، وألفينا التناص واضحاً - في غالبية الأبيات التي أوردناها - في الشكل والمضمون ؛ لأنّ الشاعر بطبيعته يعيد إنتاج ما تقّدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة ، وينتقي منها

صوراً او مواقف معبّرة ، ولا مضمون خارج الشكل ؛ بل إنّ الشكل هو المتحكم في المتناص والموجّه إليه ، والشاعر يكثّف للمتلقي ما قرأه[170]، على أنّ أبيات المتنبي كانت هي الأفضل والأبلغ والأبرز ، قياساً على ما نظمه الشعراء الآخرون ، وفي هذا اثبات لشاعرية المتنبي وأحقيّتهِ بما أبدع ونظم قي كلّ زمانِ ومكانٍ ؛ ليبقى بحقٍّ شاعر العربية الأكبر، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس ، ولا عجبَ في ذلك ؛ لأنّه صادر عن اطّلاعٍ واسعٍ على دواوين غيرهِ ممّن سبقه من الشعراء ، فضلاً عن فكرٍ وخيالٍ متقّدَين ، وبُعدِ نظرٍ وخبرةٍ ودرايةٍ بفنون النظم والشّعر ؛ قلّ نظيرها .

الهوامش

---

(1) الكشف عن مساوئ شعر المتنبي: 64-65 .

(2) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنىً : 22 .

(3) ينظر: م . ن : 43 .

(4) ينظر: م . ن : 49 .

(5) ينظر: حلية المحاضرة : 28/2.

(6) ينظر: الحيوان : 43/3.

(7) ينظر: سلطة الشعر الجاهلي على الشعر العباسي، ص124.

(8) ينظر: المعجم الوسيط: مادة(نصص) 0

(9) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة : مادة(نصو) 0

(10) ينظر: مقدمة كتاب : التناص بين النظرية والتطبيق : 5 .

(11) ينظر: الذئب والخراف المهضومة : 7 .

(12) الرّجيع: المكرّر والمعاد ، يقول: ما نقول شيئاً ؛ إلاّ وَقَد سُبِقنَا إلَيهِ ونحن نعيدُ أقوالنا مرّةً بعد مرّةٍ ؛ لتقادم العهد ، ينظر: ديوانه : 66 ، وهامش:{6} من الصفحة نفسها .

(13) ديوانه : 186 .

(14) في أصول الخطاب النّقديّ الجديد : 103 .

(15) م . ن ، والصفحة نفسها .

(16) ينظر: التناص بين النظرية والتطبيق : 13 .

(17) ينظر: تحليل الخطاب الشعريّ : 131 .

(18) ينظر: لسان العرب ، لمحمد بن مكرم بن علي ، أبي الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعيّ الإفريقيّ (المتوفى : 711هـ) ، دار صادر، بيروت ، ط3 ، 1414 هـ : (مادة : فَدَى) .

(19) ينظر: شرح التصريح على التوضيح ، أو التصريح بمضمون التّوضيح في النّحو ، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، وكان يعرف بالوقاد (المتوفى: 905هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 2000م : 136/2 .

(20) ينظر:الشّرح المنسوب إلى العكبري ، لابن عدلان ، أو ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبريّ ، (المتوفى:610هـ) ، المسمى: التّبيان في شرح الدّيوان ، ضبط نصّه وصحّحه : د. كمال طالب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2008م : 385/2 .

(21) ينظر: الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي ، تصنيف: أبي زكريا يحيى بن علي التبريزيّ المتوفى سنة 502 هـ ، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور خلف رشيد نعمان ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 2002م : 156/5 .

(22) زهر الأكم في الأمثال والحكم ، للحسن بن مسعود بن محمد ، أبي علي، نور الدين اليوسي(المتوفى: 1102هـ) ، تحقيق: د محمد حجي ، د محمد الأخضر، الشركة الجديدة - دار الثقافة ، الدار البيضاء – المغرب ، ط1 ، 1981م : 2/ 140 .

(23) ينظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي(المتوفى: 1093هـ) ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2 ، 1997م : 2/ 85 .

(24) الحيوان، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2 ، 1424هـ : 242/5 .

(25) ينظر: أدب الكاتب، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية – مصر ، ط4، 1963م : 44 .

(26) الكامل في اللغة والأدب، لمحمد بن يزيد المبرد ، أبي العباس(المتوفى: 285هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 ، 1997 م : 241/1 .

(27) الشرح المنسوب إلى العكبري : 279/2 .

(28) ديوانه : 57 .

(29) تلشرح المنسوب إلى العكبري : 279/2 .

(30) ديوانه: 381 .

(31) شعره : 76 ، وفيه: نمّ عليهِ : دلّ عليهِ ، رصد: انتظر وراقب ، رجع: نامَ ، الأهوال: الأخطار، وهو يتناص أيضاً مع قول الشاعر الأندلسي علي بن أبي الحسين:

بأبي من زارني مكتتمـاً ❁ مخفي الحسن وما كان وعد
فتناولت نجومـاً من مهاً ❁ حشوها الشمس من النور تقد
لم أزل أطلعها في راحتي ❁ وهي فيــه غرب حتى سجد

(32) ديوانه : 50 .

(33) ديوان البحتري : مج1302/2 ، وفي هامش رقم {1}: ألّم به وعليهِ : أتى ونزل وزار زيارةً غير طويلةٍ .

(34) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ت الحوفي :(3/ 39-40) .

(35) ديوانه : 125 ، ولد في أواسط القرن الثالث الهجري ، واختُلِفَ في سنة *وفاته* بين عام 360 هـ أو 350 هـ أو 330 هـ ؛ فهو إمّا أنّه كان معاصراً للمتنبي ، فسمع المتنبي شعره سمعاً مباشراً أو غير مباشرٍ من الرّواة ، أو بالمطالعة وقراءة كتب الأدب ، وقد يكون لكشاجم هذا أثراً إلى حد ما في المتنبي وغيره من القدماء والمحدثين، فالمتنبي أخذ المعنى من كشاجم ، وهو شاعر ظريف ومغمور، ذكر من تعرّض لترجمته: أنه كان طباخاً لسيف الدولة في بلاطه ، ولم يظهر على مسرح الأدب قبل هذا التاريخ ، أو أنّه مجرّد تناصٍّ ناتج عن تأثير البيئة في الأدب ؛ فكشاجم فلسطيني المنبت والنشأة ، مصري التبعية الأدبية ، وفد إلى مصر في من وقد إليها من الشعراء نحو: المتنبي وغيره من الشعراء الذين حدث بينهم وبين البيئة المصرية تفاعلاً جعلها تتأثر بهم ويتأثرون بها، وقد وردت في ديوان كشاجم إشارة عابرة فيها تعريض بكافور الإخشيدي أيضاً ، حين يهجو غلاماً له أسمه كافور:

حكيت سميك في برده وأخطأك اللون والرائحة

فإذا صح أن هذا التعريض حصل في إثناء ولاية كافور ؛ فقد يكون في هذا الاحتمال ما يستأنس به في ترجيح الرأي في أنّه معاصرٌ للمتنبي على وجه التقريب .

(36) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب : 5/ 108 .

(37) لم أقف عليه في ما راجعت ، ولكنّ إبراهيم بن المهدي المتوفى عام 224 هـ ، سمعه في عهده وغُنِّيَ أمامه ، وذكره أبو الفرج الأصفهاني المتوفى عام 356هـ ، ينظر: الأغاني : 210/14 ، 213 .

(38) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه : 197-198.

(39) ديوان العباس بن الأحنف ، شرح وتحقيق : عاتكة الخزرجي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1373هـ-1954م : 231 .

(40) م . ن : 123 .

(41) شعراء عباسيون ، للدكتور يونس أحمد السامرائي ، عالم الكتب ، ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ، ، ط 2 ، 1990 م : 78/1 .

(42) ديوان الخبزأرزيّ : 37 ، والوطر: معناه: كلّ حاجة كان لصاحبها فيها همة ، فهي وطره ، ولا يبنى منه فعلٌ أكثر من قولهم: قضيت من أمر كذا وِطري، أي: حاجتي ، وجمعه: أوطار ، والوطر في اللغة والأرب بمعنىً واحد ، فإذا بلغها البالغ قيل : قضى وطره وأربه ، ينظر: لسان العرب ، مادة (وطر).

(43) لم أقف عليه في ما راجعت ، ينظر: الرسالة الموضحة : 131 ، هامش{1} .

(44) لم أقف عليه في ما راجعت ، ينظر: الرسالة الموضحة : 131.

(45) ينظر: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم : 59 .

(46) فهو يتناص أيضاً مع قول الحمدوني :

لسعيد شويهة ❁ سلّها الضّر والعجف

قد تغنّت وأبصرت ❁ رجلا حاملا علف

بأبى من بكفّه ❁ برء مابى من الدّنف
فأتاها مطمّعا ❁ وأتته لتعتلف
فتولّى فأقبلت ❁ تتغنّى من الأسف
ليته لم يكن وقف ❁ عذّب القلب وانصرف
ويتناص مع قول الشاعر ابن قلاقس(ت567هـ):
بأبي من لم يدع لي لحظه❁ في الهوى من رمق حين رمق
جمعت نكهته في ثغره ❁عبقاً في نسق يسبي الحدق
وبدت خجلته في خده ❁شفقاً في فلق تحت غسق
وغيرها

(47) الشرح المنسوب إلى للعكبري : 380/3 ،وقال ابن جنّي : " إن روايته تفدى بالتاء أثبت لما أراد النسور. وإن كان لفظ (أتم) مذكراً " ، الفسر.. ولكن كما زعم فإن التاء لا تمتنع ، أراد: أنّ سلاحه ليس بمعمّرٍ؛ بل سريع التحطيم والانكسار ، الفتح على أبي الفتح : 287.

(48) أي: إنْ سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها في الحرب بالهدنة بين الفريقين فإنها لا تبقى عندك إلا عاما واحدا لأنك لا تهادن العدو أثر من هذه المدة ، ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي : 279، وقشر الفسر:312/2-313 ، وشرح معاني شعر المتنبي لابن الإفليلي - السفر الأول (2/ 270-271 .

(49) ديوانه ص 13 (الطرائف الأدبية)، والوساطة ص 274، والموازنة 1/ 62، وحواشيها، والصناعتين : 225، والحماسة البصرية 1/ 172، ومعاهد التنصيص 4/ 95، والخزانة 4/ 289.

(50) مَعْنَاهُ: تُعْطِي الْمِيرَة بِمَا تَجِد من لُحُوم الْقَتْلَى ، ويقال لغة: مَارَ أَهْلَهُ إذا أعَدَّ لهم مِيرَتَهُمْ، أي: موادّ طعامهم ، ينظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري: 339/3 ، و البلاغة العربية : 557/2 .

(51) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره : 274-275 ، وبغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : 687/4 ، وأمالي ابن الشجري : 139/3. ، وعلوم البلاغة البيان، المعاني، البديع : 372 .

(52) الكاثبة: ما ارتفع من منسج الفرس، والمنسج أمام القربوس ، [هو حنو السّرج، وهما قربوسان، والخطّيّ: الرّماح، منسوبة إلى الخطّ، جزيرة معروفة ، ينظر: أمالي ابن الشجري : 3/ 138] ، والعصائب: الجماعات ، وقوله: يصاحبنهم يقول: تسير جماعاتُ الطير معهم كأنّما تُغير بإغارتهم على الأعداء، وهذه الطيور من المتدرّبات الضاريات المُولعات بدماء القتلى. والخُزْرُ جمع أخْزَر وخَزْراء أي: ضيّقة العيون خِلقةً؛ أو أنّها تتخازر، أي تقبض أجفانها، لتحدِّد النظر، وقوله جلوس الشيوخ، أي أنّها لدى اشتداد القتال تقع على أعالي الأرض والهضاب كأنها في ريشها ووقوفها وتحديد النظر تترقّب القتلى جالسةٌ جلوسَ الشيوخ إذا التفُّوا بأكيسة المرانب يحدِّدون النظر إلى شيءٍ بعيد، والمرانب: جمع مَرْنَبانيّ، وهو الثوب المبطَّن بفِراء الأرانب. وجوانح: مائلات للوقوع. والخِطِّيّ: أي القنا المنسوبة إلى الخِطّ - بلد بالبحرين - والكواثب - بالثاء المثلثة - جمع كاثبة، وهي من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نُصِبَ عليه السّرجُ كانت أمام القَرْبوسِ يضع الفارسُ عليها رمحَه مُسْتعرصاً، الذخائر والعبقريات:249/2-250.

(53) الذخائر والعبقريات:2/249-250.

(54) الدر الفريد وبيت القصيد (1/ 249)

(55) بِقَوْلِهِ (وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا ....)

(56) وَهُوَ: (إِذَا مَا غَزَا بِالجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ ...)

(57) بِقَوْلِهِ:

يُصَـــاحِبْنَهُمْ حَتَّـــى يَعِـــرْنَ مُغَـــارِهِمْ ❁ مِنَ الضَّارِيَاتِ بِالدِّمَاءِ الذَّوَارِبِ

تَرَاهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ حُزْرًا عُيُوْنَهَا ❁ حُلُوْسَ الشَّيُوْخِ فِي مُسُوْكِ الأَرَانِبِ

لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا ❁ إِذَا وَضعُوا الخَطِيَّ فَوْقَ الكَوَاثِبِ

58) ينظر: المتنبي ، شاعر الشخصية القويّة ، جورج عبدو معتوق ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1974م : 26-27 .

(59) ينظر: أمالي ابن الشجري: 138/3 ، وفيه: وأصل الغياية: الظّلمة والغبرة، واستعارها للطير المصطفّة فى الجوّ، لأنها تغطّى عين الشمس.

(60) ويروى لـ عِمْرَانُ بنُ نَاجِيَةَ:

إ رَكِبَتْ قَيْسٌ لِحَرْبٍ تَبَاشَرَتْ ضِبَاعُ الفَيَافِي وَالنُّسُوْرُ الكَوَاسِرُ

وَيُرْوَى : إِذَا أَلْجَمْتَ قَيْسٌ ... البَيْتُ ، ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد: 251/1.

(61) الذخائر والعبقريات:2/249-250 ، وفيه: الجلباب: ثوبٌ أوسعُ من الخمار دون الرّداء تغطّي بها المرأةُ رأسَها ، وقيل: المُلاءةُ التي تشتمل بها، ومعنى قوله: وهي لاهيةٌ: أنَّ النُّسورَ آمِنَةٌ مِنْه لا تَفْرَقُه ؛ لأنّهُ مَيّتٌ ، فهي تمشي إليه مشي العذارى.

(62) أمالي ابن الشجري (3/ 139)

(63) الدر الفريد وبيت القصيد:1/250-251 .

(64) ديوانه : 82/3 .

(65) ينظر: أمالي ابن الشجري (3/ 141)

(66) ينظر: ديوانه : 82/3 ، والوساطة : 274، 276 ، وما لم ينشر من الأمالي الشجرية : 17 .

(67) ينظر: علوم البلاغة البيان ، المعاني ، البديع : 372 .

(68) البلاغة العربية : 2/556-557 .

(69) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : 331/2 .

(70) منهم: الصولي في أخبار أبي تمّام ، والعسكريّ في الصناعتين.

(71) أمالي ابن الشجري (3/ 139)

(72) ينظر: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري (1/65-66)

(73) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى (ص: 64)

(74) ديوانه: 278-279 ، وتأيًا الشيء: قَصَدَ آيتَه، أي: شَخْصَه ، والجَزَر: قِطَعُ اللحم، وتأيّيت: تمكّثت، أي: تنتظر الطير غدوته للحرب ، والجزر: الشاء المذبوحة، واحدتها جزرة، شبّه بها القتلى، وقيل: تتعمد وتقصد، أي: تتأيّا الطير غدوته، ثقة بالشبع من جزره ، فنقل اللّفظة فى قوله: (ثقة بالشّبع) ، ولم يزد ؛ فيفضَّلُ ، الذخائر والعبقريات: 252/2 . ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره :275 ، والموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: 67/1 ، وأمالي ابن الشجري : 138/3- 139، والصناعتين ص 226، والموازنة، وحواشيها، ودلائل الإعجاز ص 501، والمثل السائر 282/3 ، وديوانه: 69 .

(75) ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد: 250/1.

(76) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي: 50/1-54 ، وقد تصرف في هذا المعنى أبو عامر بن أبي بن شهيد الأندلسي، فقال:

وتدري سِباعُ الطَّير إن كُماتَهُ ❁ إذا لَقْيت صِيدَ الكماةَ سِباعُ
تَطيُر جِياعاً فوقه وتُردُّها ❁ ظُبَاه إلى الأوكار وهْي شَباعُ

وكذلك أخذه أبو بكر العطار. فغربه بعد الابتذال، فقال:

تظل سباعُ الطير عاكفة بهمْ ❁ على جُثَث قد سَلَّ أنفسها الذُعْرُ
وقد عَوَّضتهم مِنْ قبور حواصلاً ❁ فيا من رأى ميتا يطير به قَبْرُ

ينظر: م . ن .

(77) ينظر: النقد العربي القديم ، الدكتور سامي يوسف أبو زيد ، دار المسيرة ، عمّان ، ط1 ، 2013م: 349-351 .

(78) ينظر: الوساطة بين المتنبي وخصومه ونقد شعره: 276 ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ت محيي الدين عبد الحميد : 2/ 384.

(79) أمالي ابن الشجري : 141/3.

(80) الشرح المنسوب إلى العكبريّ(3/ 380)

(81) م. ن ، والصفحة نفسها .

(82) ينظر: أمالي ابن الشجري (3/ 142)

(83) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي : 50/1-54 .

(84) والعقبان: جمع عِقَاب ، وَهُوَ طَائِر كَبِير مَعْرُوف من الْجَوَارِح ... والصوارم: جمع صارم ، وَهُوَ السَّيْف الْقَاطِع ، الْمَعْنى: أَنّه جعل الطير الَّتِي تطير فَوق عسكره سحاباً ، وَجعل جَيْشه سحاباً ؛ لما فِيهِ من بريق الأسلحة وصب الدِّمَاء وَصَوت الْأَبْطَال ، وَجعل الْأَسْفَل يسْقِي الْأَعْلَى إغراباً فِي الصَّنْعَة ، وشبَّهَ العقبان بسحب يظل الجيوش ويزحف تحتهَا سَحَاب ، أرادَ: الْجَيْش إِذا استسقت العقبان بِطَلَب الدَّم سقتها صوارمه ؛ لِأَنَّهَا تقتل الْأَعْدَاء ، فَتَشرب العقبان دِمَاء الْقَتْلَى ينظر: الشرح المنسوب إلى العكبريّ : 338/3 ، وفي البيت الأول ، يقول: له عسكران خيله والطير التي تطير معها للوقوع على القتلى فإذا رمى عسكرا

بعسكره لم يبق إلا عظام الجماجم لأن عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكلهم والطير في بها يعود إلى الخيل والطير جميعا.

(85) وهو من قوله:

وقد ظُلِّلتْ عِقْبانُ أعلامِهِ ضُحى ❁ بعِقبانِ طيرٍ في الدّماء نواهِل

أقامت مع الرّايات حتّى كأنّها ❁ من الجيش إلّا أنّها لم تقاتل

(86) الإبانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى : 64.

(87) أمالي ابن الشجري:140/3 .

(88) هو العميديّ ، ينظر: الإبانة عن سرقات المتنبي .

(89) ينظر: الشرح المنسوب إلى العكبريّ(3/ 338)

(90) أمالي ابن الشجري (3/ 140)

(91) ينظر: الوساطة : 275 .

(92) الصبح المنبي عن حيثية المتنبي: 50/1-54 .

(93) العقد المفصل : 42.

(94) ما لم ينشر من الأمالي الشجرية :18 ، وفيها: الخصيلة: كل لحمة فيها عصب ، والطلا: الأعناق.

(95) م . ن : 19 .

(96) تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي:84-85 .

(97) ينظر: المختار من شعر شعراء الأندلس : 56 ، ورسالة التوابع والزوابع : 129-130 ، والمطرب من أشعار أهل المغرب (ص: 162)

(98) ينظر: المختار من شعر شعراء الأندلس: 56 ، والمطرب من أشعار أهل المغرب : 163 .

(99) ساغبها: جائعها، والسغب: الجوع ، المطرب من أشعار أهل المغرب : 163، وفيها: الجزر، بفتح الجيم والزاي: الشاء المذبح؛ والواحدة: جزرة. قاله أبو علي في البارع: وأراد به الشاعر ها هنا كثرة القتلى.

(100) المطرب من أشعار أهل المغرب : 161 ، وهذا مأخوذ من قول أبي نواس:

تتأيَّا الطَّيرُ غُدوتَه ❁ ثِقةً بالشِّبع من جَزَره

(101) ينظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء : 338/2 ، و علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع : 372 .

(102)علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع (ص: 372)

(103) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : 331/2 .

(104) ينظر: العقد المفصل : 42 .

(105) ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة: 687/4-688 ، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: 330/2 .

(106) ينظر: البلاغة العربية : 556/2-557 .

(107)الشرح المنسوب إلى العكبريّ(1/ 36 ، الشرح المنسوب إلى العكبري : 279/2 ،، الشرح المنسوب إلى العكبريّ(1/ 37). عنى بـ (كُلُّ ماشِيَةِ الخَيْزَلَى):النساء، وبِـ(كُلِّ مَاشِيَةِ الهَيْدَبَى): الخيل، وفدى كل نجاة بجاوية خنوفٍ ، وهي: الناقة التي ترمي بيديها إلى وحشيها، والخناف أيضاً: ضرب من مشي الإبل ، يقول: فدت كلّ امرأة تمشي الخيزلى كل ناقة تمشي الهيدبى ، ينظر: المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي: 307-306/5 ، والفن ومذاهبه في الشعر العربي: 335 ، هامش{1} .

(108) الخيزلى : مِشية فيها تبختر وتثاقل وتراجع وتفكّك واسترخاء ، وهي من مشية المرأة تخزّلها؛ إذا مشت ، والهيدبى: مشية فيها سرعة ، و"العشة": القليلة اللحم ، الدقيقة ، و"العضلاء": العوجاء ، ينظر: الكامل في اللغة والأدب: 96/3 ، هامش{5} ، والبرصان والعرجان والعميان والحولان: 223 ، والفن ومذاهبه في الشعر العربي: 335 ، هامش:{1} .

(109) ديوانه : 202/1-203 ، وفيه: يقول: " هذا الرّجل من حبّه للسَّفَرِ في طلب العلى ، إذا رأى الكاعب الحسناء فكأنّما يرى طلعة ثائر قد جاء ليثأر منه ، لبغضه للكاعب وحبّه للسّفر ، إلى أنْ يبلغ مُرادَهُ وينالُ حاجتهُ ، ويرى بالعرمس – وهي النّاقة الصُّلبة- من حبّه لها طلعةَ قادمٍ عليه".

(110) الفن ومذاهبه في الشعر العربي (ص: 335)

(111) أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: 429هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة : 79.

(112) الشرح المنسوب إلى العكبريّ : 221/4 ، وقَالَ الواحدي ويروى خشيان بِالْخَاءِ أَي أَنه يخْشَى من سرعَة سير الْإِبِل وهزها لَهُ وَهُوَ غير متعود لذَلِك ، وقال أبو العلاء المعرّي: ((الواخدات: الإبل السراع ، والحشيان: الذي علاه البهر من التعب، وَرُوِيَ: بالخاء من الخشية ، يقول: أفدي بالإبل وحاديها وبنفسي قمراً، صفتها أنها يأخذها البهر عند إسراع الإبل في السير، لنعومتها ، وبالخاء: أنها تخشى عند شدة سيرها من شدة إقلاقها إياه ، أراد: أن هذا القمر الكافل بالإبل وحاديها وبنفسي، وأمرنا إليه وسرورنا بوصاله، وحزننا لفراقه، فهو المتصرف فينا كما يشاء))(112) وقال ابن عدلان(112): الواخدات الْإِبِل وأصل الوخد للنعام وَاسْتعْمل فِي سير الْإِبِل وخد الْبَعِير يخد وخدا ووخدانا وَهُوَ أَن يَرْمِي بقوائمه مثل مَشى النعام فَهُوَ وأخد ووخاد والخدر خدر الْمَرْأَة وَهُوَ مَا يكنها ويحجبها وحشى بِكَسْر الشين فَهُوَ حش وحشيان إِذا أَصَابَهُ الربو وعلاه البهر ،

أَي: ذَات نفس مُنْقَطع من سمنها ، وَأنكر بعض من لَا يعرف اللُّغَة على أبي الطّيب لَفْظَة حشيان ، وَقَالَ لم أسمعها .

الْمَعْنى أفدى بِالْإِبِلِ الواحدات وبحاديها وبنفسي قمرا يظل من سير الْإِبِل حشيان لترفه وَلِأَنَّهُ لم يتعود السّير وَلَا ركُوب الْإِبِل ، ينظر: الشرح المنسوب إلى العكبريّ: 123/1 ، 221/4 -222 .

(113) ديوانه: 1347 ، والبيت من الطويل، ينظر: تاج العروس: مادة:(سدا)؛ ولسان العرب: 14/ 375 مادة: (سدا) ، والمعجم المفصل في شواهد العربية: 479/6 .

(114) الشرح المنسوب إلى العكبريّ: 123/1 .

(115) ينظر: شرح ديوان المتنبي للواحدي : مج544/2 ، والمآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي (1/ 33) ومعجز أحمد : 94 ، و شرح ديوان المتنبي ، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ،2001م : مج176/1 ، هامش{4} .

(116) البديع في نقد الشعر: 143)

(117) ديوانه: 86 .

(118) العمدة: 281/2 .

(119) ينظر: الوعي الشعريّ ، ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة ، لمحمد مبارك ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ط1 ، 2004 م :449-450 .

(120) الصبح المنبي:266 .

(121) ينظر: الشرح المنسوب إلى العكبري: 6/1 ، بفدائه: بفدائك إياه .

(122) هو:" سهل بن محمد أبو داود النحو، مؤدب سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان: وله شعر حسن، وفضل ظاهر" ، معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب.

(123) ينظر: الشرح المنسوب إلى العكبري: 6/1 ، بفدائه: بفدائك إياه .

(124) الشرح المنسوب إلى العكبري : 47/1 .

(125) لم أقف عليه في الشرح المنسوب إلى العكبري، وهو في شرح الواحدي، وبعده ، قوله:{ في م . ن:1440}:

عَوَاقِبُ هَذا تَسُوءُ العَدُوَّ ۞ وتثبت فيهم وهذا يزولُ

وقد انفرد الواحدي وأبو العلاء المعرّي ، بإيرادهما هذين البيتين ، وخلَى منهما- أيضاً - : شرح اليازجي ، والبرقوقي ، وشرح مشكل شعر المتنبي ، وغيرها ، فضلاً عن الكتب النقديّة التي وضعت لدراسة شعر المتنبي وتتبّع سرقاته ومحاسنه ، وهي عديدة ، وليس فيهما معنىً خفيّ يستحق التنويه ، بل هما أقرب إلى النثر من الشعر ، ينظر: شرح الواحدي: 1440 ، هامش رقم {1}

(126) ديوانه:

(127) ينظر: معجز أحمد : 305 .

(128) الشرح المنسوب إلى العكبري : 2/ 218 ، وفيها : الْمَعْنى إِذا اعتل سيف الدولة الممدوح اعتلت لعلته الأَرْض وَمن عَلَيْهَا وَمن النَّاس وَالْقُوَّة وَالْكَرم الْخَالِص لِأَنَّهُ قوام كل شئ فَإِذا اعتل اعتل لَهُ كل شيءٍ .

(129) الشرح المنسوب إلى العكبري : 2/ 218، وفيها: الْمَعْنى يَقُول لَا أنتفع بِالنَّوْمِ إِذا كَانَ عليلا لِأَن النّوم يُفَارق عينى وَجعل للنوم اعتلالا مجَازًا واستعارة لِأَنَّهُ لما امْتنع من الْعين صَار اعتلالا لَهُ .

(130) الشرح المنسوب إلى العكبري : 2/ 218 ، وفيها: يَدْعُو لَهُ بالشفاء والعافية وَيَقُول: يشفيك الله الذى يشفى بجودك الْخلق يُرِيد أَنه سَبَب لأرزاق الْعباد جعلهَا الله على يَدَيْهِ فَهُوَ يشفيهم بجوده من ألم الْفقر وَجعله لكرمه بحرا كل بَحر بعضه لِكَثْرَة جوده.

(131) ديوانه: 46.

(132) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه (ص: 216-217)

(133) الشرح المنسوب إلى العكبري : 23/3.

(134) ديوانه:

(135) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ت محيي الدين عبد الحميد: 358/2 .

(136) المعاني الكبير في أبيات المعاني (2/ 877)

(137) الشرح المنسوب إلى العكبري: 69/1 ، والرّبع : مقرّ الحبيبة ، وفديناك ، للدّعاء ، الكرب : الحزن، و الربع معناه : المنزل في كلّ الأحايين , والمربع : المنزل في الربيع بخاصة، وقوله: فديناك، من ربع: أي فديناك ربعاً ، خاطب ربع حبيبته ، بقوله : نحن نفديك بأنفسنا، وإن كنت تزيد في غمنا؛ لخلوك من المحبوبة، ثم قال: إنما قد فديناك، لأنك كنت مألف محبوبتي، التي هي كالشمس، فكنت مطلعاً لها حين تخرج وتبرز بروز الشمس من مطلعها الذي هو المشرق، وإذا احتجبت وغابت فيك كنت لها مغرباً، لما جعلها الشمس جعل الربع مطلعاً لها ومغرباً ينظر: معجز أحمد : 268، واللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي : 63 ، والشرح المنسوب إلى العكبري: 69/1 .

(138) الشرح المنسوب إلى العكبري : 39/4 ، وصدره :

❁ رُوَيْدَ حُكمِكِ فينا غيرَ مُنصِفَةٍ ❁

(139) م . ن : 260/1 ، وعجزه :

❁ هَوْلٍ إذا اخْتَلَطا دَمٌ ومَسيحُ ❁

(140) م . ن : 388/2 .

(141) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، لأبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (المتوفى:542هـ) ، تحقيق: إحسان عباس ، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس ، ط2، 1981م: 4/ 550 .

(142) م . ن ، والصفحة نفسها .

(143) م . ن ، والصفحة نفسها .

(144) الشرح المنسوب إلى العكبري: 69/1 .

(145) ينظر: أنوار الربيع في أنواع البديع : 4 .

(146) ينظر: تنبيه الأديب : 75 ، وأنوار الربيع في أنواع البديع : 4 .

(147) المنصف للسارق والمسروق منه (ص: 804)

(148) الشرح المنسوب إلى العكبري:133/1 .

(149) الشرح المنسوب إلى العكبري :291/2 .

(150) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه : 515 .

(151) ينظر: م . ن ، والصفحة نفسها .

(152) الشرح المنسوب إلى العكبري : 68/1 .

(153) ينظر: معجز أحمد : 225/3 .

(154) وعجزه : ❁ وإنّ لهُمْ في العَيشِ حَزَّ الغَلاصِم❁

(155) ينظر: المنصف: 780-781 .

(156) الشرح المنسوب إلى العكبري : 9/1 .

(157) الشرح المنسوب إلى العكبري : 189/2 .

(158) ينظر: شرح الواحدي لديوان المتنبي : مج320/1 .

(159) الشرح المنسوب إلى العكبري : 94/2 .

(160) الشرح المنسوب إلى العكبري : 388/2 .

(161) المنصف للسارق والمسروق منه ، الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (ت 393هـ) ، تحقيق وتقديم : عمر خليفة بن ادريس ، جامعة قات يونس، بنغازي ، ط1، 1994م : 545 .

(162) ينظر: تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي : 55 .

(163) المنصف للسارق والمسروق منه : 215.

(164) ينظر: الشرح المنسوب إلى العكبري : 43/1 .

(165) شرح ديوانه :120 .

(166) ينظر: المنصف للسارق والمسروق منه : 590 ، والوساطة: 226 .

(167) قشر الفسر : 2/ 246 .

(168) منتهى الطلب من أشعار العرب : 81 .

(169) عيار الشعر: 112 .

(170) ينظر: تحليل الخطاب الشعريّ – إستراتيجية التناص : 129-130 .

The Interteauality of " serifice" in Al-Mutanabi's poetry

Dr. Adel Ismail Hassan Mahal

Center, Documents and Heritage of Salah al-Din

key words: intertextuality. redemption. Poetry .

Summary:

The concept of "serifice" is one of the poetic issues in Al-Mutanabi's poetry in particular and in poetry in general . The reason behind writing this paper is due to the repetition of this concept "serifice" and what is related to it and it's connection to other meanings . It shows a clear similarity between what Al-Mutanabi said and what other poets did . It decodes the fact that there is a asimilarity between the ways employed by poets who are influenced by those who preceded or around them and what Al-Mutanabi was influenced by like the prominent poets . This paper deals with particular intertexual extractd aiming to focus on the availability of this issue in Al-Mutanabi's poetry which reflects his innovation and exclusion of pligiarism following a procedure depending on the date of death of the poets not the refarenaces and sources where intertexuality exists . As a result , we discuss the concept of intertextuality in Arabic dictionaries , as a term and an expression . The paper is divided according to the kinds of intertexuality represented by the visitation and departure , then sacrificing " women " with camles , sacrificing those who accompany birds and animals in the fight , sacrificing " the king " , and some other kinds .